العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإصدار (٧)

ما هي حقيقة الإنسان؟

(حقيقة النفس والإنسان السوي)

مركز الدراسات والمراجعة العلمية

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net
nashra@alkafeel.net

كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

الكتاب: ما هي حقيقة الإنسان؟ (حقيقة النفس والإنسان السوي).
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة
الاخراج الطباعي: علاء سعيد الاسدي.
المطبعة: دار الكفيل للطباعة والنشر.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٥٠٠.

شهر رجب الأصب ١٤٤٤هـ-شباط ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين...

يحتل البحث عن الإنسان اليوم مكانة متميزة على مستوى الاعـلام والفكر والأبحاث، ولكن يغلب على هذا الاهتمام المادة فحسب، أي ان البحث عن شخصية هذا الكائن من جهة صحته والعناية ببشرته والعناية بما يتغذى به، وتتصدر الصحف ايضاً العناية بملبسه وتصفيف شعره وغير ذلك مما يتعلق بالمظاهر والشكليات، ولكن تبقى الابعاد المعنوية والنفسية للإنسان مهملة في عالمنا المعاصر، وتبقى مسألة كيف يكون الإنسان منضبطاً في حالة من التراجع والإهمال، ومن هذا المنطلق ولتكثيف الرؤية الصحيحة حول حقيقة الإنسان وابعاد النفس البشرية دأب مركز الدراسات والمراجعة العلمية الى تثقيف القرّاء ورفدهم بكل ما هو نافع وجديد، ولأهمية هذا الموضوع في حياة الإنسان عمدنا الى الاهتمام به والبحث حوله، وقد جاء هذا الكتاب الشيق في مضمونه واسلوبه بكل ما يتعلق بتصنيف النفس وحقيقة الإنسان السوي ليجد فيه القارئ مساحة من الاهتمام بشخصية الإنسان ورحلة طيبة لفهم ابعاد النفس البشرية وما تحمل بين طياتها والهدف والغاية التي وجد من اجلها الإنسان.

بيّن الكتاب خصائص النفس البشرية وحقيقتها وانواعها مثل النفس الملهمة

والامارة والمرضية وغيرها ثم تطرق الى حقيقة الإنسان وموقفه من الايثار والتضحية والثبات وغيرها من الموضوعات النافعة.

تضمن الكتاب ثمانية وثلاثين موضوعاً، حمل القسم الأول عنوان حقيقة النفس الإنسانية وانواعها فاحتوى هذا القسم واحداً وعشرين موضوعاً أولها صلاح النفس، وحمل القسم الثاني عنوان الإنسان السوي وتضمن القسم سبعة عشر عنواناً أولها إنسان الخير.

القسم الأول

حقيقة النفس الإنسانية وانواعها

-١-

صلاح النفس

الإنسان الذي خلقه الله عز وجل يعيش في الحياة الدنيا بإحاطة إلهية متمثلة بالآية القرآنية الشريفة ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[١]، فهو يحمل في تكوينه ﴿ **سَوَّاهَا** ﴾ أي عدل خلقها وزاد في ذلك عز وجل عرفها الخير والشر والحق والباطل ثم خيرها فاختارت عن حمزة بن الطيار، عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله: ﴿ **وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ** ﴾، قال: «**حتى يعرفهم ما يرضيه ويسخطه**».

وقال: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾ قال: «**بين لها ما تأتي وما تترك**»[٢]، فالنفس الإنسانية تختار الخير وطريق التقوى، ومن جملة هذا ما مثاله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام «**وأمروا بالمعروف وأتمروا به وأنهوا عن المنكر وتناهوا عنه وإنما أمرنا بالنهي بعد التناهي**»[٣]، فصلاح واستواء النفس يبدأ بإصلاحها وله عناوين متعددة منها: كما في هذه الرواية عن أبي جعفر عليه السلام قال لبعض شيعته: «**بلغ من لقيت من موالينا عنا السلام، وقل لهم: لا أغني عنكم من الله شيئا، إلا بورع واجتهاد، فاحفظوا ألسنتكم، وكفوا أيديكم، وعليكم بالصبر، والصلاة، فإن الله مع الصابرين**»[٤]،

(١) سورة الشمس،الآيات ٧-١٠.
(٢) الكافي،الشيخ الكليني،ج١، ص ١٦٣،ح ٣.
(٣) نهج البلاغة،ج ١،ص ٢٠٢.
(٤) مستدرك الوسائل، ج ٣ ص ٧٦.

فكل نفس بما كسبت رهينة، لا تنفعها شفاعة الشافعين ولا مال ولا بنون، وإنما ينفعها التورع عن محارم الله فإذا أردت أن تقف في موقف الند لله تعالى وتعتبر أن هذه المحارم محللة لك عند ذاك تكون قد ناصبت العداوة له عز وجل ولزام أن تتحمل نتائجها، وكذلك الاجتهاد في طاعته ورضاه من خلال كمال الأعمال، وحفظ اللسان الموصوف بحسب الرواية قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته إلى محمد بن الحنفية: «**واعلم أن اللسان كلب عقور إن خليته عقر، ورب كلمة سلبت نعمة، فأخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك**»[1]، فمثلما يعقر الكلب «يعض» فيجرح وربما يتلوث الجرح وتكون العواقب وخيمة كذلك اللسان يجرح مشاعر الآخرين ويقلل من شأنهم ويشينهم، ولاتكن اليد مستخدمة في معاصي الله، والصبر عنوان عريض للمؤمن في تحمل مصائب وشدائد هذه الحياة كما قال تعالى ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[2]، فالمؤمن يضع نفسه في طريق الحق وفي خانة الصبر لأنها سمة المصلحين لهذه النفوس التي اختارت تحلية النفس بها في سيرها التكاملي للتزكية والرضا الإلهي.

(١) مستدرك الوسائل،ج ٩،ص ٢٥.

(٢) سورة العصر.

-٢-

طلبات النفس

أحيانا النفس الإنسانية تعيش في تأثير زينة الحياة الدنيا وبهارجها فتنشغل بالبحث عن هذا الأمر الزائل والمنتهي ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾[١]؟

سواء في مدة عمر الإنسان أو بعد مماته، مشغولة ببناء المقام الدنيوي من البيوت الفارهة والقصور المزينة والمصالح المربحة والعلاقات المبنية على تحصيل الفوائد والأرصدة المالية والمناصب الواهمة، فتغرق هذه النفس بالبحث عما ينعمها في الدنيا، والملوك والرؤساء والحكام والتجار وأهل السياسة ما هم إلا خير مثال لهذه الهموم من خلال القوة الواهمة بالاشتراك مع القوة الشهوية للنفس الإنسانية كفرعون وهامان وقارون والنمرود وأغلب حكام الحضارات السابقة وحكام بني أمية والعباس والعثمانيين والحكام المنصبين من قبل الإستعمار الحديث إلى يومنا هذا، يكون همهم الأوحد هو المزيد، وهم الذين تجبروا وتسلطوا وأدخروا الأرصدة كسياسيي هذا الزمان الذين نهبوا بلادنا وخيراتنا وعمموا الظلم والحرمان والفساد في البلاد ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ** ﴾[٢]، ولكن في قبال هؤلاء نجد

(١) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

(٢) سورة الفجر، الآيات ٦-١٤

أمثلة لخيار البشرية في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾[١].

يقول السيد الطباطبائي في تفسيره:وقوله عز وجل: ﴿ **إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ لخص سبحانه جميع ما كانت تبتغيه في حياتها وتروومه في مسير عبوديتها في مسألة سألت ربها وذلك أن الإيمان إذا كمل تواطأ الظاهر والباطن وتوافق القلب واللسان فلا يقول الإنسان إلا ما يفعل ولايفعل إلا ما يقول فيكون ما يرجوه أو يتمناه أو يسأله بلسانه هو الذي يريده كذلك بعمله. وإذ حكى الله فيما يمثل به حالها ويشير إلى منزلتها الخاصة في العبودية دعاء دعت به دل ذلك على أنه عنوان جامع لعبوديتها وعلى ذلك كانت تسير مدى حياتها، والذي تتضمنه مسألتها أن يبني الله لها عنده بيتا في الجنة وينجيها من فرعون وعمله وينجيها من القوم الظالمين.

فقد اختارت جوار ربها والقرب منه على أن تكون أنيسة فرعون وعشيقته وهي ملكة مصر وآثرت بيتا يبنيه لها ربها على بيت فرعون الذي فيه مما تشتهيه الأنفس وتتمناه القلوب ما تقف دونه الآمال، فقد كانت عزفت نفسها عن ما هي فيه من زينة الحياة الدنيا وهي لها خاضعة وتعلقت بما عند ربها من الكرامة والزلفى فآمنت بالغيب واستقامت على إيمانها حتى قضت.

وهذه القدم لقوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ** ﴾[٢] هي التي قدمتها إلى أن جعلها الله مثلا للذين آمنوا ولخص حالها وما كانت تبتغيه وتعمل له

(١) سورة التحريم الآية ١١.
(٢) سورة يونس، الآية ٢.

مدى حياتها في مسير العبودية في مسألة حكى عنها وما معناها إلا أنها نزعت عن كل ما يلهيها عن ربها ولاذت بربها تريد القرب منه تعالى والإقامة في دار كرامته.[١]

لذلك على الإنسان العاقل أن يعمل لبناء بيته الذي في الجنة؛ لأنها دار المقر والحياة الأبدية وفيها نعيم دائم ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[٢]، وينتبه كي لا يكون من الذين عمروا الدنيا ونسوا الآخرة لقوله تعالى: ﴿ **وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا** ﴾[٣].

(١) تفسير الميزان،ج ١٩ ص ٣٤٤.
(٢) سورة السجدة، الآية ١٧.
(٣) سورة الكهف، الآية ٤٥.

-٣-

النظام هو محور حياة المسلم

إن الإسلام ينظم الحياة البشرية في مختلف ميادينها الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية، وقد بني ديننا كله على النظام، فالنظام هو محور حياة المسلم، بل الكون كله يسير في نظام: البشر... الكائنات... الليل والنهار... السماء... الفلك.

لقد خلق الله عز وجل هذا الكون على أساس منظم، فوضع كل شيء في موضعه وجعل له مهمة عليه أن يؤديها في هذه الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ۞ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[١]

وقوله تعالى ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾[٢].

وحفظ النظام له جذور فقهية ودينية يستند إلى قاعدة عندنا في الفقه تسمى «الملازمة بين حكم العقل والشرع» فما حكم به العقل حكم به الشرع وما حكم به الشرع حكم

(١) سورة يس، الآيات ٣٧-٤٠.

(٢) سورة الروم، الآيات ٢٢-٢٤.

به العقل – ماذا يعني ذلك؟

العقل يسند إلى الشرع والشرع يسند العقل فكل منهما يسند الآخر ويعضده، فمعنى هذا الكلام أن هناك قاعدتين في علم الكلام هي برهان على القاعدة الفقهية:

أن المولوية مستندة إلى العقل، فلولا حكم العقل لما استطعنا أن نطيع الشرع، العقل هو الذي أدرك مولوية الشرع فحكم بها وهو الذي قال عن المولى وهو الله المنعم، والمنعم يجب شكره وشكره بطاعته وعدم معصيته، العقل هو الذي ثبت لنا مولوية الله وبنى عليها وجوب الطاعة فهنا العقل أسند الشرع وعضده.

عندنا قاعدة في علم الكلام وهي: «الأحكام الشرعية ألطاف في الأحكام العقلية»، العقل يقول: العدل جميل والظلم قبيح فهذه القضية يعرفها العقل بفطرته، فلو سألنا العقل ما معنى العدل والظلم؟

فيقول: الظلم هو سلب ذي الحق حقه» الذي يحدد لنا الحق هو الشرع فهنا الشرع يعين العقل، مثلا هل للإنسان حق في قتل نفسه؟ الشرع يقول: ليس للإنسان حق أن يهلك بدنه فإذا أتلف نفسه ظلمها، ولا يحق له أيضا أن يتلف ثروته. إذن العقل يحكم بالقضايا الكلية فقط أما القضايا الجزئية فهذه بيد الشرع، فالشرع هنا أسند العقل وأصبحت الأحكام الشرعية التي تحدد العقول ألفاظا في الأحكام العقلية، لأنها تعينها على تحديد مواردها وموضاعاتها.

الفقهاء على قسمين:

القسم الأول: فقهاء يقولون: «حفظ النظام الخاص واجب»، مثلا رأي السيد الخوئي تثبت يقول: «النظام الخاص هو الذي بني على حفظ الأنفس والأعراض والأموال فهذا يجب احترامه والتقيد به شرعا». إذا كانت إشارة المرور حمراء يجب

احترامها والتقيد بها فإذا قطعها الإنسان فهو قد ارتكب معصية ومحرما ويعاقب على ذلك أخرويا كما يلام دنيويا لماذا؟ وذلك لأن نظام المرور نظام خاص وضع لحفظ الأنفس والأموال من التلف والأعراض من الهتك.

القسم الثاني: فقهاء يقولون: «حفظ النظام العام واجب»، مثلا رأي السيد السيستاني دام ظله يقول: «أن يجب احترام النظام العام ولا يختصر فقط على النظام الخاص» كل نظام يرعى مصلحة عامة يجب حفظه والتقيد به مثلا توجد عندي كهرباء في المنزل وأنا أعبث بها وأسحب طاقة كهربائية بطريق غير قانوني فهذا العمل عند السيد السيستاني حرام شرعا؛ لأنه مخالف للنظام العام كذلك عندما يكن عندي انترنت ولدي طاقة معينة لاستفيد منه فأقوم بشراء جهاز للاستفادة من الطاقات الموجودة عند جيراني، فهذا على رأي السيد السيستاني حرام شرعا؛ لأنه مخالف للنظام المبني على المصلحة العامة، الحجاج في بيت الله الحرام عندما ينظرون الى المكتوب على الماء «ماء مخصص للشرب» هل يستطيعون التوضؤ به أو لا؟

رأي السيد السيستاني: لا يجوز. لأنه نظام وضع لمصلحة عامة يجب التقيد به.

المؤمنون أولى برعاية النظام من أية فئة أخرى؛ لأن المؤمن داعية إلى الله من خلال سلوكه وعمله، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**كونوا دعاة لنا بغير ألسنتكم**» فمن خلال سلوكك تكون داعية إلى مبادئك وقيم أهل البيت ومن قيمهم احترام النظام، فنجد أن المؤمن يعمل في شركة ويتسيب ويجيء في وسط الدوام ويخرج قبله ويتصرف في أموال الشركة بغير القانون المرسوم في الشركة أو لا يبالى بأنظمة المرور والبلدية والشرطة أو ما أشبه ذلك فهل مثل هذه التصرفات تناسب المؤمن والذي يجب أن يكون قدوة حسنة في المجتمع.

فحالة التسيب وعدم الانضباط وعدم احترام النظام هي منظر سيئ للمؤمنين ومنفر ويعكس صورة للمتدينين مفادها أنهم لا يلتزمون بالأنظمة ولا يملكون روحا انضباطية حضارية لذلك المؤمن أولى برعاية النظام والالتزام به من غيره.

فالملاحظ أن بعض الناس لا يتمتعون بروح النظام والانضباط وهذا مظهر سلبي ومقزز ومنفر؛ فيكون هذا الأداء ناقص وفيه فجوة كبيرة تحتاج الى مراجعة الأمر ودراسته ووضع حلول وخطط نظرية وعملية لتصحيحه ولتثقيف الحالة الايمانية والالتزام بالقدوة الحسنة المتمثلة بالرسول والائمة الاطهار صلوات الله عليهم اجمعين والمراجع العظام والعلماء الأعلام.

إذن فنحن نحتاج إلى النظام ودقته وحفظه وهذا هدف من أهداف الأئمة عليهم السلام فالإمام علي عليه السلام في آخر لحظات حياته أوصى بالصلاة والحج والنظام فقال: «**ثم إني أوصيك يا حسن وجميع أهل بيتي وولدي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ربكم ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ۝ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام وأن المبيرة الحالقة للدين فساد ذات البين ولا قوة إلا بالله العلي العظيم انظروا ذوي أرحامكم فصلوهم يهون الله عليكم الحساب الله الله في الأيتام فلا تغبوا أفواههم ولا يضيعوا بحضرتكم فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من عال يتيما حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار الله الله في القرآن فلا يسبقكم إلى العمل به أحد غيركم الله الله في جيرانكم فإن النبي صلى الله عليه وآله أوصى بهم وما زال رسول الله صلى الله عليه وآله يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم الله الله في بيت ربكم فلا يخلو منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا [أي: لم ينظر اليكم بالكرامة، لا من الله، ولا من الناس، لإهمالكم فرض دينكم]**»[1].

(١) الكافي، ج٧، ص٤٩.

وقال الإمام الحسين عليه السلام: «**وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام**»[١].

الإصلاح على مختلف الأصعدة: إصلاح النظام الاقتصادي أو السياسي أو الاجتماعي ومن الإصلاح إذن مسألة حفظ النظام واحترامه مسألة مهمة وضرورية.

وكذلك نظرة الإسلام للنظام في تعاملات البشر واضحة، فالاستئذان شرط، ومن لا يؤذن له لا يدخل، ففي الحديث النبوي قال صلى الله عليه وآله: «**إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع**»[٢]. وللأكل آداب منظمة، وفي الحديث النبوي قال صلى الله عليه وآله: «**سم الله، وكل بيمنيك، وكل مما يليك**»[٣]، والالتزام بالعهود والعقود شرط، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**المؤمنون عند شروطهم**»[٤].

وفي السفر، ففي الحديث النبوي قال صلى الله عليه وآله: «**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**»[٥].

ووصل النظام إلى ضرورة اختيار اسم صالح للأولاد بمجرد ولادتهم، ثم حسن تربيتهم، فقد ورد عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**استحسنوا أسماءكم فإنكم تدعون بها يوم القيامة قم**

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٣٢٧.
(٢) تفسير الرازي، ج ٢٣،ص ١٩٧.
(٣) صحيح مسلم،ج ٣، ص ١٢٧٣،ح ٢٠٢٢.
(٤) الشيخ الطوسي، الخلاف،ج٢، ص٩.
(٥) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج ٢، ص ١٣٠٩.

يا فلان بن فلان إلى نورك وقم يا فلان بن فلان لا نور لك»[١].

ووضع الإسلام كذلك قواعد في آداب التحية والسلام: فيسلم الصغير على الكبير، والقليل على الكثير، والراكب على الماشي، والمار على الجالس.

وفي الصلاة، عن جعفر عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: **قال رسول الله** صلى الله عليه وآله: «**سووا بين صفوفكم وحاذوا بين مناكبكم لا يستحوذ عليكم الشيطان**»[٢].

وفي الجهاد، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ** ﴾[٣] وحتى في بعض الكفارات ككفارة الظهار، يقول الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۞ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٤]

هذا هو الإسلام، نظام في كل شيء، منذ الولادة وحتى الموت، في التعامل الشخصي ومع الآخرين ومع الكون كله.

وعليه أيها المسلم هذا الكون المنظم والخلق المنظم كله لك لكي تنتظم حياتك فأين أنت من هذا؟ هل تحافظ وتعمل بالنظام أو تتغافل وتهمل هذا النظام؟ اسأل نفسك: هل ترمي الفضلات في الحاوية التي تضعها البلديات أو ترميها في الشارع لتنتشر الروائح الكريهة، ومن ورائها الأمراض الوبائية؟ وهل تلتزم بإشارة المرور لكي تحافظ

(١) وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٢٣.
(٢) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٤٢٣.
(٣) سورة الصف، الآية ٤.
(٤) سورة المجادلة، الآيتان ٣-٤.

على السير العام أو تخالفها، وتحدث الفوضى وهكذا في جميع أنظمة الحياة!

أين أنت من تطبيق النظام؟ أجب عن نفسك بنفسك؟.

-٤-

النفس التي تهم بالحسنة والتي تهم بالسيئة

النفس هذه التركيبة الإلهية بحسب إرادته عز وجل وبما يناسب الاختبار لها في هذه الحياة الدنيا والتي يتكون منها الإنسان، وأنعم عليها بالفطرة كي تكون حجة عليها في يوم الحساب، لقوله تعالى في كتابه العزيز ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١].

أي وجه وجهك للدين فألزم الاستقامة على نهج الله تعالى في هذا الدين، ففي هذا الدين استجابة لكل متطلبات الحياة، واستيعاب لكل حاجات الإنسان في الحالات السوية، واستيعاب لشخصية الإنسان بأبعادها المختلفة، فالغريزة التي أودعها الله في خلق الإنسان لا تختلف من عصر إلى عصر، ولا زمان إلى زمان، ولا مكان إلى مكان، وعلى الإنسان أن يعترف بهذه القيمومة من دين الله عليه ويتقبلها ويخضع لها، ولكن أكثر الناس يجهلون دور الدين في حياة الإنسان، ويقول الإمام الباقر عليه السلام – في تفسير هذه الآية –: «**فطرهم على معرفته أنه ربهم، ولولا ذلك لم يعلموا – إذا سئلوا – من ربهم ولا من رازقهم**».[٢]

وبالنسبة للغرائز التي يجني منها الإنسان الخير فهي كثيرة وما ورد عن بيان الغريزة

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) بحار الأنوار،ج ٣،ص ٢٧٩،ح١٣.

الحسنة عن مولانا أمير المؤمنين يؤكد هذا المفهوم؛ فقوله عليه السلام: «**السخاء والشجاعة غرائز شريفة، يضعها الله سبحانه فيمن أحبه وامتحنه**»(١)، أو إشباع صحيفة الفاسق بالسيئات وهذه الغريزة السيئة فكذلك ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام في رواية واردة عنه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي لا تشاورن جبانا فإنه يضيق عليك المخرج ولا تشاورن بخيلا فإنه يقصر بك عن غايتك ولا تشاورن حريصا فإنه يزين لك شرها واعلم أن الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن**»(٢)، وهذا بحث في حياة ممكن أن يملأها هذا بالحسنات وذاك بالسيئات وثالث يخلط صحيفته بهما ﴿ **وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾(٣).

والمهم في هذا كله، صاحب الحسنات هو من الفائزين يقينا ولكن صاحب السيئات والخالط لهما كيف لهما أن يتخلصا من السيئات؟ والجواب الواضح والصريح، التوبة ثم التوبة ثم التوبة، هي طريق الخلاص من بلايا السيئات والذنوب التي أثقلت ظهور أصحابها كما ورد في هذه الرواية:- «عن أبي عبد الله، أو عن أبي جعفر عليهما السلام قال: **إن آدم** عليه السلام قال: **يارب سلّطت عليّ الشيطان وأجريته مني مجرى الدم فاجعل لي شيئا، فقال: يا آدم جعلت لك أن من هم من ذريتك بسيئة لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت عليه سيئة، ومن هم منهم بحسنة فإن لم يعملها كتبت له حسنة، وإن هو عملها كتبت له عشرا. قال: يارب زدني، قال: جعلت لك أن من عمل منهم سيئة ثم إستغفر غفرت له، قال: يارب زدني، قال: جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس هذه، قال: يارب حسبي**»(٤).

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص١٢٧٦.
(٢) الوافي، الكاشاني، ج ٥، ص٥٨٢.
(٣) سورة التوبة، الآية ١٠٢.
(٤) الكافي، ج ٢، ص ٤٤٠.

إن الشيطان لا يفارق أبن آدم طوال حياته الى موته، والمقصود أن باب التوبة مفتوح إلى أن تبلغ النفس الحلقوم وتتحقق الغرغرة فإذا بلغت هذه فلا توبة لأنه وقت المعاينة والتوبة إنما تكون في حال الغيب وإنما قال آدم عليه السلام: حسبي، لعلمه بأن أكثر أولاده إلا من أخذت يده الشقاوة الأبدية تدركهم الرحمة الواسعة وتدخلهم في باب التوبة ولو كان شيء أنفع لأولاده من هذه النعمة المبسوطة لطلبه.

-٥-

الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر للنفس

ان صلاة جعفر الطيار عليه السلام هي الاكسير الأعظم والكبريت الاحمر وهي مروية بما لها من الفضل العظيم باسناد معتبر غاية الاعتبار وأهم ما لها من الفضل غفران الذنوب العظام.

وصلاة جعفر الطيار هي أفضل صلاة بعد الفرائض كما ورد في الحديث، وقد ورد التأكيد على التنفل بهذه الصلاة في يوم الجمعة وفي شهر رمضان وفي غيرها من الأوقات لما فيها من الفضل والأجر؛ حيث إن الله عزّ وجلّ يغفر الذنوب العظام بسببها ويقضي حاجة من صلّاها.

تسمية صلاة جعفر الطيار:-

لأن النبي صلى الله عليه وآله أهدى هذه الصلاة لجعفر بن أبي طالب عليهما السلام فقد نسبت إليه وعرفت بصلاة جعفر الطيار.

وتسمى صلاة جعفر الطيار بصلاة التسبيح أيضا لاشتمالها على تسبيحة يكررها المصلي ثلاثمائة مرة خلال هذه الصلاة، وهذه التسبيحة هي: «سبحان الله والحمد لله ولا اله إلّا الله والله اكبر».

كما تسمى صلاة جعفر الطيار بصلاة الحبوة، والحبوة هي العطية، سميت بذلك لأن الرسول صلى الله عليه وآله حباها إياه تقديرا ومكافأة له.

وأفضل أوقاتها صدر النهار يوم الجمعة وهي أربع ركعات بتشهدتين وتسليمين تقرأ في الركعة الأولى سورة الحمد و﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾، وفي الركعة الثانية سورة الحمد والعاديات، وفي الثالثة الحمد و﴿ **إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ** ﴾، وفي الرابعة الحمد و﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ** ﴾ فإذا فرغ من القراءة في كل ركعة فليقل قبل الركوع خمس عشرة مرة: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر». ويقولها في ركوعه عشرا وإذا إستوى من الركوع قائما قالها عشرا، فإذا سجد قالها عشرا، فإذا جلس بين السجدتين قالها عشرا، فإذا سجد الثانية قالها عشرا، فاذا جلس ليقوم قالها قبل أن يقوم عشرا يفعل ذلك في الأربع ركعات فتكون ثلاثمائة تسبيحة.

روى الكليني عن أبي سعيد المدائني قال: قال الصادق عليه السلام: **ألا اعلمك شيئا تقوله في صلاة جعفر عليه السلام قلت: بلى. قال: قل إذا فرغت من التسبيحات في السجدة الثانية من الركعة الرابعة:**

«سبحان من لبس العز والوقار، سبحان من تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان من لاينبغي التسبيح إلا له، سبحان من أحصى كل شي علمه، سبحان ذي المن والنعم، سبحان ذي القدرة والكرم. اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك، واسمك الأعظم وكلماتك التامة التي تمت صدقا وعدلا، صل على محمد وأهل بيته وافعل بي كذا وكذا»، وتطلب حاجتك عوض كلمة كذا وكذا...

و عن أبان أنه قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**من كان مستعجلا يصلي صلاة جعفر مجردة(عن التسبيح)، ثم يقضي التسبيح وهو ذاهب في حوائجه**»[1].

مكانة جعفر عليه السلام:-

---

(١) الكافي،ج ٣،ص ٤٦٦.

تظهر مكانة جعفر بن أبي طالب جليا في الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فعن أبي أيوب الأنصاري، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام: «**إنا أهل بيت أعطينا سبع خصال لم يعطها أحد من الأولين قبلنا، ولا يدركها أحد من الآخرين غيرنا؛ نبينا خير الأنبياء وهو أبوك، ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك، وشهيدنا خير الشهداء وهو حمزة عمك، ومن له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء هو جعفر بن أبي طالب بن عمك، ومنا سبطا هذه الأمة، ومهديهم من ولدك**»[1].

(١) تفسير نور الثقلين، ج٤، ص٣٤٧.

-٦-

النفس ومجاهدتها بالعلم

كلنا يعرف أن جهاد النفس هو جهاد أكبر حث عليه الله عز وجل في الكتاب الكريم لقوله:

﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۞ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

ولكن القليل ممن يعرف أن جهاد النفس له أقسام قد ذكرتها الروايات الشريفة ومن أهمها:- جهاد النفس بالعلم، قال الإمام علي عليه السلام:«**جهاد النفس بالعلم عنوان العقل**»[٢].

أي إنك لا تسمح للنفس بالتسويف في مسألة التعلم، أي إن الإنسان كلما إزداد علما، كان أقوى على جهاد النفس، وكلما إزداد جهلا، كان أضعف في جهاد النفس.. ومنه تتبين أهمية طلب العلم، وهذا إنما يدل على النضج العقلي لدى الإنسان في مجاهدته لنفسه بالعلم.. ومنه يعرف إرتباط العقل بالعلم، والعلم قد يراد به المخزون الثقافي الذي يحمله الإنسان، أي المعلومات التي طلبها والتي يمكنه توظيفها في مجاهدة النفس. وقد يراد بالعلم: طلب العلم.. ومن المجرب أن الإنسان حين يطلب بعض أنواع العلم، فإن طلبه للعلم يؤثر في قوة معنوياته إذا كان العلم المطلوب من النوع الذي

(١) سورة العنكبوت،الآيتان٦-٧.

(٢) غرر الحكم،ح ٤٧٧٢.

له دور في تكامل النفس باعتبار أن النفس لها أقسام منها:- ففي حديث كميل بن زياد قال:«سألت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قلت: أريد أن تعرفني نفسي.

قال: **يا كميل أي نفس تريد؟**

قلت: يا مولاي وهل هي إلا نفس واحدة.

فقال: **يا كميل إنما هي أربع: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية. ولكل واحدة واحدة من هذه خمس قوى وخاصتان...**

والناطقة القدسية: ولها خمس قوى: فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة، وليس لها انبهاث.

وهي أشبه الأشياء بنفس الملائكة. ولها خاصتان النزاهة والحكمة»[1].

فطلب العلم والحكمة من قوى هذه النفس، والكمال كل الكمال أنك تغذيها بالعلم والحكمة فيما تتخصص به وفيما تحتاجه، في أمور حياتك ومعاشك، والنفس الأمارة بالسوء تحاول أن تقع كحجر عثرة أمام هذا الطموح كما تصورها مناجاة الشاكين قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «**الهي اليك اشكو نفسا بالسوء امارة، والى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك اهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الامل، ان مسها الشر تجزع، وان مسها الخير تمنع، ميالة الى اللعب واللهو مملؤة بالغفلة والسهو، تسرع بي الى الحوبة وتسوفني بالتوبة**»[2].

ومحاربة هذه النفس تكون بمجاهدتها في طلب العلم وكمال العقل، كما قال الإمام

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٨ ص٨٥.

(٢) الصحيفة السجادية، المناجاة الثانية، مناجاة الشاكين.

علي عليه السلام: «**أملكوا أنفسكم بدوام جهادها**»[١]، وقال عليه السلام: «**في مجاهدة النفس كمال الصلاح**»[٢]، قال الإمام علي عليه السلام: «**فساد الأخلاق بمعاشرة السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسة العقلاء، والخلق أشكال فكل يعمل على شاكلته**»[٣].

(١) غرر الحكم،ح ٤٨٩٨.

(٢) غرر الحكم،ح ٦٤٤٩.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة،ج ٢،ص٣٤٩، لعلي بن عيسى الإربلي، المتوفي سنة ٦٩٢ هجرية في بغداد.

-٧-

النفس وإنقيادها لله في أيام الصوم

النفس الإنسانية محطة تتواجد فيها تجاذبات إما إنقياد للرحمن لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾[١]، أو ضياع مع الشيطان لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

والقلب هو الفيصل فعندما يكون ممتلئا بحب الرحمن عارفا أن الدنيا دار إمتحان وفتنة وزوال، فلا مجال للشيطان كي يغرق هذه النفس في مهاوي حب الدنيا والإنزلاق نحو الهاوية ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾[٣].

وهذا كله يتجسد في أيام شهر رمضان فالصيام جنة من النار عندما يكون القلب متوجها لله تعالى ممتنعا عن الأكل والشرب مع إمتناع الجوارح عن كل ماهو معصية وذنب مما يجعل النفس الإنسانية رحمانية مطيعة لله تبحث عن مزيد من مقامات القرب لله عز وجل، وعندما يكون القلب مشغولا بحب الدنيا وملوثا بالمعاصي والذنوب فلا

---

(١) سورة الحجر،الآية ٤٢.

(٢) سورة إبراهيم،الآية ٢٢.

(٣) سورة العاديات، الآيات ٨-١١.

خير فيه وأثر ذلك في النفس أنها تكون شيطانية تبحث عن الشر أينما كان ولو كان هذا الإنسان صائما.

فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «**إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم وهو الصمت الداخل أما تسمع قول مريم بنت عمران ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾... إلى أن قال: ووهبت نفسك لله في أيام صومك وفرغت قلبك له ونصبت نفسك له فيما أمرك ودعاك إليه فإذا فعلت ذلك كله فأنت صائم لله بحقيقة صومه صانع لما أمرك وكلما نقصت منها شيئا مما بينت لك فقد نقص من صومك بمقدار ذلك إلى أن قال: إن الصوم ليس من الطعام والشراب إنما جعل الله ذلك حجابا مما سواها من الفواحش من الفعل والقول يفطر الصائم ما أقل الصوام وأكثر الجواع**»[1].

وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «**سمع رسول الله صلى الله عليه وآله امرأة تسب جارية لها وهي صائمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله بطعام، فقال لها: كلي!**

فقالت: إني صائمة! فقال: كيف تكونين صائمة وقد سببت جاريتك؟! إن الصوم ليس من الطعام والشراب»[2].

وهذا من أوضح مصاديق الذنوب، فحاولا أخي المسلم وأختي المسلمة أن لا تقعا في مثل هذه المحاذير في هذا الشهر الشريف، ولكما الأجر والثواب.

---

(١) وسائل الشيعة، الجزء العاشر، الصفحة ١٦٦، كتاب الصيام أبواب آداب الصائم ١١ - باب استحباب إمساك سمع الصائم وبصره وشعره وبشره وجميع أعضائه عما لا ينبغي من المكروهات ووجوب تركه للمحرمات.

(٢) الكافي،ج ٤،ص ٦٤، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني.

-٨-

النفس اللوامة

من أهم الموضوعات التي تطرق إليها القرآن الكريم، وتحدث عنها حديثا مستفيضا موضوع النفس الإنسانية؛ فقد تحدث عن خصائصها بدقة يعجز عنها علماء النفس، ويخفى عليهم الكثير من التفصيلات الدقيقة التي تناولها، ولا غرابة في ذلك أليس من تحدث بذلك هو خالقها وفاطرها؟! وما أعظم كلام الله بهذا الخصوص حيث قال: ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾[١].

لقد تحدث القرآن عن صعودها وهبوطها، وعن جنوحها وإعتدالها، وعما يعتريها من الضعف والعجز، والتقوى والفجور، والزكاة والطهارة، كما تحدث عن تمردها ومكابرتها، وعن حرصها وشحها.

تحمل النفس الإنسانية – كما فطرها الله تعالى – قابليتين: إيجابية تؤدي إلى الإستقامة والصلاح والتقوى، وسلبية تؤدي إلى الإنحراف والفساد والضلال، وذلك بحسب المقياس الديني للإيجاب والسلب، أي إن المولود صفحة بيضاء، يرسم الأهل والمدرسة والمجتمع مضمونها، بحسب تعليمه وتربيته، ثم تتشكل لديه قناعات يستطيع معها تحديد خياراته في فترة الشباب، قال تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[٢].

---

(١) سورة الملك، الآية ١٤.

(٢) سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

إذن لا يمكن الحديث عن إنسان مؤمن أو مطيع لله تعالى بالفطرة، وآخر كافر عاص لله تعالى بالفطرة، فالطاعة أو المعصية نتيجة لتوجيه قابلية واختيار صاحبها لأحداهما.

مما نبه عليه القرآن كذلك التفكر في النفس، وهو سبيل إلى معرفة كنهها، والوقوف على حقيقتها، وأحد وسائل إدراك الحق والاعتبار، فقال تعالى: ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾[١]، وقال: ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ** ﴾[٢].

وكيف لا يهتم القرآن بالنفس وهي أس التغيير، ومحور الإنتقال إلى الأفضل أو الأسوأ؟ قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[٣].

وقد تحدث القرآن عن النفس بأنواعها، ومما تناوله النفس اللوامة، التي أقسم الله بها في محكم تنزيله، فما هي النفس اللوامة؟ وما هي حقيقتها؟

إن النفس اللوامة هي الضمير الحي الذي يحول بينك وبين الذنوب، وهي السوط القوي الذي يوقظك حتى لا تلج في خضم الشهوات، وهي الجرس الذي ينبهك عند الاقتراب من حمى الشبهات، ومراتع السيئات، وهي السبيل الأوحد للوصول إلى النفس المطمئنة، التي لا تكون النجاة إلا بها، ولا يكون الفوز إلا بالتلبس بزيها...

النفس اللوامة التي أقسم الله تعالى بها قائلا: ﴿ **لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۞ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ** ﴾[٤]، فقد فسرها قول رسول الله ﷺ في وصيته لإبن مسعود: «**يا بن مسعود! أكثر من الصالحات والبر، فإن المحسن والمسيء يندمان، يقول المحسن: يا ليتني**

(١) سورة الذاريات،الآية ٢١.
(٢) سورة فصلت،الآية ٥٣.
(٣) سورة الأنفال،الآية ٥٣.
(٤) سورة القيامة، الآية ٢.

ازددت من الحسنات، ويقول المسيء: قصرت، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾[1]، فالنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها مؤمنا كان أم كافرا، أما المؤمن فتلومه على ما قصر عندما ترى جزيل الثواب، وأما الكافر فتلومه على انحرافه وكفره عندما ترى جحيم العقاب، فاللوم نتيجة العمل لا قبله، وعلى الأرجح أن يكون في يوم الحساب فقط، وحتى لو كان في الدنيا كما في رأي بعض المفسرين، فهو بعد العمل وليس قبله.

إن إرضاء جميع الميول النفسية بصورة حرة وبلا قيد أو شرط أمر مستحيل؛ ذلك لأن تحقيق بعض الرغبات يتنافى مع إتيان الرغبات الأخرى، وفي الواقع يوجد تناقض واضح بين كثير من ميول الإنسان. لقد أوضح الإمام علي عليه السلام التناقض القائم بين بعض الميول والرغبات بعبارة قصيرة وحكيمة، إذ قال:

«لقد علق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه: وذلك القلب. وذلك أن له مواد من الحكمة وأضدادا من خلافها؛ فإن سنح له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن ملكه اليأس قتله الاسف، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، وإن أسعده الرضا نسى التحفظ وإن غاله الخوف شغله الحذر وإن اتسع له الامر (الامن) استلبته الغرة (العزة)، وإن أفاد مالا أطغاه الغنى، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع، وإن عضته الفاقة شغله البلاء، وإن جهده الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط به الشبع كظته البطنة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد»[2].

لا بد للإنسان من أن يختار من بين أمرين: فأما الأمر الأول فأجنبي وأعمى وطاغية لا يراقب إلا التنفيذ دون النظر إلى القصد والنية **﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ**

(١) بحار الأنوار ج٧٤، ص١٠٤.

(٢) نهج البلاغة، الحكم، الحكمة ١٠٥.

تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلا ﴾[١]. وأما الأمر الثاني فإنه أليف ومحبوب، صحيح أنه متعب ولا يرتضي بسهولة لكنه يعرف آمالكم الخفية ويطلع على كيفية شخصيتكم، وعليه فيجب التوفيق بين الغرائز والوجدان الأخلاقي، يقول سبحانه: ﴿ **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۞ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾**[٢]، وعن رسول الله ﷺ: «**أشجع الناس من غلب هواه سفينة**»[٣]، وعن رسول الله ﷺ: «**إن الشديد ليس من غلب الناس، ولكن الشديد من غلب على نفسه**»[٤].

(١) سورة الفرقان، الآية ٤٣.
(٢) سورة النازعات: ٤٠ ـ ٤١.
(٣) معاني الأخبار،ج ١، ص١٩٥.
(٤) مستدرك الوسائل، ج١١،ص١٣٩.

-٩-

النفس الأمارة بالسوء

إن من أبرز الآيات التي نستحضرها دوما في سياق حديثنا عن أولويات الإصلاح وأصول الفساد هي قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ** ﴾[١]، غير أنه من النادر أن نتساءل عن كيفية تغيير النفس وحقيقتها وأصنافها وكيفية معالجة أحوالها وتقلباتها.

لقد ذكرت النفس في القرآن الكريم في عدة مواضع من بينها: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[٢]، ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[٣]، ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا** ﴾[٤]، وبعيدا عن الجدل القائم حول الفرق بين النفس والروح وهل هما كيان واحد أم مختلف، فإن النفس تعرف باعتبارها: الجانب المحرك والموجه والمسؤول عن سلوكيات الإنسان وأفكاره ونزواته وأخلاقه وانفعالاته وتوجهاته خيرا أم شرا، وقد أكد القرآن هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا** ﴾[٥].

---

(١) سورة الرعد، الآية ١١.

(٢) سورة يس، الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٣٥.

(٤) سورة البقرة، الآية ٤٨.

(٥) سورة الشمس، الآيات ٧-١٠.

فقد حذرت روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام منها، فعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إن النفس لأمارة بالسوء والفحشاء، فمن ائتمنها خانته، ومن استنام إليها أهلكته، ومن رضي عنها أوردته شر الموارد**»(١).

ويقول الشاعر:

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

النفس ألأمارة بالسوء: وهي النفس الحريصة على دفع صاحبها نحو مخالطة المعاصي، وتزيين الشهوات والإيقاع به في المهلكات، ومثلها ما ذكره الله على لسان امرأة العزيز: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِي** ﴾(٢)، وهذه أسوء أنفس الآدميين، وبهذا الخصوص يقول:الإمام علي عليه السلام «**النفس الأمارة المسولة تتملق تملق المنافق، وتتصنع بشيمة الصديق الموافق، حتى إذا خدعت ومكنت تسلطت تسلط العدو، وتحكمت تحكم العتو، فأوردت موارد السوء**»(٣).

لقد ضرب لنا القرآن عدة نماذج حول تقلبات الأمم والأفراد وارتباط مصائرهم بما كسبت أنفسهم خيرا أم شرا، ومن هذه النماذج نذكر:

١- قصة إخوة يوسف: ففي بداية أمرهم كادوا لأخيهم يوسف وآذوا أباهم يعقوب، ثم لما أدركوا خطأهم تابوا وأصلحوا نفوسهم فقبل الله منهم بعد أن تابوا لقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَاأَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(٤).

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١١،ص١٤٠.
(٢) سورة يوسف، الآية ٥٣.
(٣) غرر الحكم:،ح ٢١٠٦.
(٤) سورة يوسف، الآيتان ٩٧-٩٨.

٢- قصة امرأة العزيز: فبعد سعيها لإغواء يوسف والإيقاع به، تابت واعترفت بذنبها وندمت عليه وقالت: لقوله تعالى في كتابه الكريم:﴿ **ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۞ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[١]، فصلح حالها بعد ذلك واستقامت سيرتها وسريرتها.

٣- قصة قوم يونس: بعدما أيس يونس من إيمان قومه عزم على مفارقتهم وأخبرهم أن العذاب سينزل عليهم في ثلاثة أيام، فلما رأوا إرهاصات العذاب وأيقنوا أنه قد حاق بهم، خرجوا مع أهليهم وغلمانهم وأنعامهم وجعلوا الرماد على رؤوسهم والشوك في أرجلهم ولبسوا الصوف وأخذوا يجأرون ويدعون ويبكون فعلم الله صدقهم فتاب عليهم، وقال فيهم: ﴿ **فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ** ﴾[٢].

٤- قصة سحرة فرعون: لقد أعلن السحرة توبتهم في اللحظة التي تكشفت لهم فيها عظمة الله، فبعد أن كانوا أعوانا لفرعون في طغيانه، أيقنوا أن ما جاء به موسى هو الحق وليس من قبيل السحر الذي يأتونه، فاخترق الإيمان شغاف قلوبهم وصدحوا في لحظة استفاقة وصدق، لقوله تعالى:﴿ **قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ** ﴾[٣].

٥- قصة العرب في جاهليتهم وبعد إسلامهم: لقد كان العرب في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء، وعلى وضع أخلاقي وديني وإنساني بئيس، غير أنه لما صدقت منهم طائفة فآمنت وأخلصت وتزكت نفوسها، انتقلوا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة ومن سيئ الأخلاق والمعتقدات إلى أحسنها،

---

(١) سورة يوسف، الآيتان ٥٢-٥٣.

(٢) سورة يونس، آية ٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان٤٧-٤٨.

فأصبح منهم سادة وقادة، حتى وصفهم القرآن بقوله: ﴿ **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ** ﴾[1].

٦- الأقوام مع أنبيائهم: أما بقية الأمم والأفراد الذين ثبتوا على الكفر والفساد ولم يغيروا ما بأنفسهم كقوم شعيب ولوط وعاد وفرعون والنمرود، وصاحب الجنتين، فقد أذاقهم الله سوء العذاب وكانت عاقبة أمرهم خسرا، لقوله تعالى: ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾[2].

وبتأمل أحوال النفوس وتقلباتها وعواقبها نلاحظ أنها على ثلاث أحوال:

أ- فهناك من تغيرت أنفسهم من الفساد إلى الصلاح، فاستقام حالهم وكانت لهم العاقبة الحسنة.

ب- وهناك من تغيرت نفوسهم من الصلاح إلى الفساد، فجحدوا نعم الله وكفروا به فكان لهم المصير الأسوء في الدنيا والآخرة.

ت- وهناك نفوس أصرت على فسادها ورفضت دعوة الأنبياء وتنكبت الصراط المستقيم، فكانت عاقبة أمرها خسرا.

ومن كانت نفسه في هذه المرتبة، فإنه يكون منهمكا في الذنوب، متبعا للشهوات، مستجيبا لها استجابة تامة، غافلا عن الله سبحانه وتعالى وعن الآخرة، وهي التي أشار إليها الإمام زين العابدين عليه السلام في مناجاته المعروفة بمناجاة الشاكين بقوله: «**إلهي اليك اشكو نفسا بالسوء أمارة، والى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن**

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.
(٢) سورة الأنفال الآية ٥٣.

مسها الشر تجزع، وان مسها الخير تمنع، ميالة الى اللعب واللهو، مملؤة بالغفلة والسهو، تسرع بي الى الحوبة وتسوفني بالتوبة، الـهي أشكو إليك عدوا يضلني، وشيطانا يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزين لي حب الدنيا ويحول بيني وبين الطاعة والزلفى»[1].

فصلاح الحال والمآل منوط بصلاح نفوس الأفراد والمجتمعات، فكيف يتحقق ذلك؟

---

(١) الصحيفة السجادية، ص ٤٠٣.

-١٠-

النفس المطمئنة

وردت كلمة النفس ومشتقاتها في القرآن الكريم ١٩٦ مرة، أما النفس المطمئنة فقد وردت مرة واحدة في الآية ٢٧ من سورة الفجر، وكما هو معروف أن معنى النفس في اللغة: الروح والروح في حد ذاتها نفخة إلهية تهب الحياة لمن تحل فيه، فوصفها بالصلاح وعدمه إنما يجوز بتبع صلاح النفس وفسادها.

والنفس عند الحكماء: كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتغذى وينمو أو يحس ويتحرك بالإرادة أو يعقل الكليات ويستنبط الآراء، وقد يعبر عن كل ذلك بلازم واحد وهو: من حيث أنه ذو حياة بالقوة، والمقصود بالكمال الأول: الصورة التي يحصل الجسم فيها حيّا، إذ الكمال مجرد عن قيد (الأول) جنس يتناول المحدود وغيره، أما الكمال الثاني للجسم الطبيعي الآلي فيتناول جملة الصفات سوى ذلك كالشكل واللون وما أشبه.

وهي على أنواع: نفس نباتية وخاصيتها التغذية والنمو، ونفس حيوانية وخاصيتها الحس والحركة الإرادية، ونفس ناطقية وخاصيتها إدراك المعقولات، ونفس قدسية وخاصيتها أن تكون محلا للفيوضات الربانية والأسرار الإلهية.

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام في حديث كميل بن زياد قال: سألت مولانا أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقلت: أريد أن تعرفني بنفسي . قال عليه السلام: يا كميل، **وأي الأنفس**

تريد أن اعرفك؟ قلت: يا مولاي، هل وهي إلّا نفس واحدة؟

قال عليه السلام: **يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية. ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان.**

النامية النباتية لها خمس قوى: جاذبة، وماسكة، وهاضمة، ودافعة، ومربية، ولها خاصيتان: الزيادة والنقصان، وانبعاثها من الكبد، وهي أشبه بنفس الحيوان.

والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وشم، وذوق، ولمس. ولها خاصيتان: الشهوة والغضب، وانبعاثها من القلب، وهي أشبه الأشياء بنفس السباع.

والناطقة القدسية لها خمس قوى: فكر، وذكر، وعلم، وحلم، ونباهة، وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الملكية. ولها خاصيتان: النزاهة والحكمة.

والكلية الإلهية ولها خمس قوى: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء وعز في ذل، وغنى في فقر، وصبر في بلاء. ولها خاصيتان: الرضا والتسليم، وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود؛ قال الله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾[2]، والعقل وسط الكل، لكيلا يقول أحدكم شيئا من الخير والشر إلا بقياس معقول»[3].

ثم اعلم أن النفس من عالم الملكوت، إذ هي مجردة في ذاتها عن المادة وإن كانت متعلقة بها تعلق تدبير؛ لأنها في حقيقتها صورة خاصيتها هي أن تفعل في المواد، ولولا ذلك لما ساغ للحيوان الحركة والإحساس...

---

(١) سورة الحجر، الآية ٢٩.

(٢) سورة الفجر، الآيات٢٧ – ٢٩.

(٣) مستدرك نهج البلاغة، ص ١٥٩.

أما الروح: فهي رقيقة أو لطيفة ربانية شأنها الحياة ومصدرها عالم الأمر، قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي** ﴾[1]، وقال بعض الحكماء هي من عالم الرقائق الذي هو برزخ بين الجبروت والملكوت، إذ إن عالم الجبروت هو عالم العقول المجردة عن المادة والصورة معا وعالم الملكوت هو عالم الصور المجردة عن المادة فقط، والروح أعلى تجريدا من النفس ودون تجريد العقل فهي برزخ بينهما، وقد مثل لها بعض أهل المعرفة بالكهرباء السارية في الأجهزة الكهربائية، فهي الحيوية السارية في أجزاء البدن، والموت يحصل بمفارقة الروح البدن وليس كذلك النفس، فيمكن أن تغادر النفس البدن ـ كما في النوم والإغماء ـ ثم تعود إليه، أما الروح فلا تفارق الحيوان (وهو جنس الإنسان) إلا حين الموت، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدأت عود مجاورة؛ لأنها باقية غير فانية، أي إنها تعود إلى عالمها الذي منه أنزلت.

وقد خلط البعض بين النفس والروح وادعى أنهما واحد، وزعم أن النفس تنشأ بنشوء البدن، وهي قبل البدن لا تشخص لها، ولكنها تبقى بعد موت البدن وتذهب إلى عالم البرزخ، والروح إنما تكون قبل البدن وهي الحياة التي يهبها الله تعالى خلقه ثم تبطل بعد الموت، والصواب ما أثبتناه، أما مصير النفوس بعد الموت إلى عالم البرزخ فمسلم، والسعادة والشقاء يكونان تبعا لأعمالها في الدنيا، والشعور بالمشاعر والقوى يتضاعف حين تحررها من البدن، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ** ﴾[2]، وهي تذهب إما إلى نار البرزخ أو إلى جنة البرزخ بحسب ما أنتهت إليه فعليتها وملكاتها، فإن للأعمال أكبر الأثر في حصول الفعليات والملكات النفسية، فالأعمال الصالحة توجب دخول جنة البرزخ

(١) سورة الإسراء،الآية ٨٥.

(٢) سورة ق،الآية ٢٢.

حتى قيام القيامة الكبرى للحساب بين يدي رب الأرباب، والأعمال الطالحة توجب دخول النار حتى قيام القيامة الكبرى كذلك وهذه الجنة والنار دون جنة القيامة ونارها من حيث الرتبة.

ومركز النفس (المطمئنة) في القلب، لقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾[1]، وفي هذه النفس تحصل الفيوضات الإلهية والإلهامات العلوية، ومنها العلم اللدنّي الذي يعلمه الإنسان بدون معلم، أي لا يأتي عن طريق العقل والحواس، بل ينزل من عند الله مباشرة على القلب، فيعيه ويشرق به ولا يعود ينساه.

ومثل ذلك ما كان يحدث للنبي ﷺ عندما كان ينزل الوحي على قلبه، يقول الله تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾[2].

والنفس هي الموجه الحقيقي للبدن والمسيطر عليه وهي منشأ الأعمال والأفعال والأقوال وهي في الأصل جبلت على الخير والعمل الصالح والتوحيد لقول الله تعالى: ﴿ ... **فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**... ﴾[3]، فإن صلحت هذه النفس واستقامت صفاتها وأخلاقها كانت هي الدليل والمرشد نحو الخير والصلاح ومنشأ الحسنات والنجاة في الدنيا والآخرة، وهنا لا بد من الاشارة الى أن الإنسان في دار الدنيا إنما هو في دار امتحان واختبار، والنفس البشرية التي خلقها الله قد تكون بين مراتب ثلاث، تبعا لعمل الإنسان، فالله جل جلاله جعله مخيرا في عمله وما يصدر عنه وله انعكاسه واثره على النفس، قال الله تعالى ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**

(١) سورة النحل، الآية ١٠٦.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان ١٩٣، ١٩٤.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.

وَتَقْوَاهَا ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[١]، فحسن الخلق والأعمال الصالحة تزكي النفس وترفعها الى مرتبة النفس المطمئنة، كما أشار القران بقوله: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[٢]، فإن المستفاد من الأدلة العقلية وآيات القرآن هو أن الله سبحانه وتعالى خلق البشر للعبودية، والبشر مستعد أيضا للعبودية بفطرته، فالله قد جعله على رأس طريقين، فبإمكانه أن يكون عبدا للأهواء والشهوات ويمكنه أن يكون عبدا لخالقه أيضا.

أما الحيوانات فمجبورة على إطاعة الهوى والشهوة، لكن الإنسان خلق مختارا وهذا هو امتياز الإنسان عن الحيوان، فالحيوان لا عمل له سوى اتباع الشهوات وميوله النفسية، أما الإنسان الذي يمكن أن يصرف نظره عن ميوله ويتحرك بإرادة مولاه، فكما يمكنه أن يكون عبدا للهوى كذلك يمكنه أن يكون عبدا لله.

بعض الناس يسلكون الطريق الأول طريق اتباع الميول النفسية والأهواء والبعض الآخر نجده يتخذ الطريق الثاني وهو إطاعة الله.

يروى عن رسول الله ﷺ في باب علامة الإيمان: «**من ساءته سيئته وسرته حسنته فهو مؤمن**»[٣]، إن الرسول عليه السلام لا يقول إن علامة المؤمن أن لا يرتكب ذنبا أبدا، بل إنه إذا صدر عنه ذنب فسوف يتألم لذلك ويسأل كيف صدرت منه هذه المعصية؟ إلى أن يصل إلى النفس المطمئنة بحيث لا يصدر عنه ذنب بعدها.

---

(١) سورة الشمس، الآيات: ٧ – ١٠.

(٢) سورة الفجر، الآيات: ٢٧ – ٣٠.

(٣) الأمالي (للصدوق)، ج١، ص٢٠٠.

-١١-

النفس الراضية

قال تعالى: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[١].

النفس المطمئنة هي التي تسكن إلى ربها وترضى بما رضي به، فترى نفسها عبدا لا يملك لنفسه شيئا من خير أو شر أو نفع أو ضر، ويرى الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنى أو فقر أو أي نفع أو ضر، ابتلاء وامتحانا الهيا، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلى الطغيان، وإكثار الفساد، والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان في الكفر وترك الشكر، بل هو في مستقر من العبودية لا ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط.

النفس الراضية المرضية وهي النفس المتكاملة الراضية من ربها رضى الرب منها، وإطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى تكوينا أو حكم به تشريعا، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضا العبد من ربه، رضا الرب منه، إذ لا يسخطه تعالى إلا خروج العبد من زي العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضا ربه ولذا عقب قوله: راضية بقوله: مرضية، فقوله تعالى: ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝ وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[٢]، تفريع على قوله:

﴿ **ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ** ﴾ وفيه دلالة على أن صاحب النفس المطمئنة في زمرة عباد الله حائز مقام العبودية، وذلك أنه لما اطمأن إلى ربه انقطع عن دعوى الاستقلال

(١) سورة الفجر،الآيتان٢٧ ـ ٢٨.

(٢) سورة الفجر، الآيتان ٢٩-٣٠.

ورضا بما هو الحق من ربه فرأى ذاته وصفاته وأفعاله ملكا مطلقا لربه فلم يرد فيما قدر وقضى، ولا فيما أمر ونهى، إلا ما أراده ربه، وهذا ظهور العبودية التامة في العبد، ففي قوله: ﴿ **فَادْخُلِي فِي عِبَادِي** ﴾ تقرير لمقام عبوديتها وفي قوله: ﴿ **وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾ تعيين لمستقرها، وفي إضافة الجنة إلى ضمير المتكلم تشريف خاص، ولا يوجد في كلامه تعالى إضافة الجنة إلى نفسه تعالى وتقدس إلا في هذه الآية.[١]

وأما المقسم عليه: فهو محذوف معلوم بالقرينة أي ﴿**لَتُبْعَثُنَّ**﴾ وإنما حذف للدلالة على تفخيم اليوم وعظمة أمره، قال تعالى: ﴿ **ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً** ﴾[٢]، وقال: ﴿ **إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى** ﴾[٣]، وقال: ﴿ **عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۞ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ** ﴾[٤].[٥]

وأما وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فواضح، فإن الإنسان إذا بعث يوم القيامة يلوم نفسه لأجل ما أقترف من المعاصي، إذ في ذلك الموقف الحرج تنكشف الحجب ويقف الإنسان على ما اقترف من المعاصي والخطايا، فيندم على ما صدر عنه، قال سبحانه: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾[٦]، وقال سبحانه: ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ**

---

(١) تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ٢٨٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية ١٨٧.
(٣) سورة طه، الآية ١٥.
(٤) سورة النبأ، الآية ١ ـ ٢.
(٥) تفسير الميزان، ج ٢٠، ص ١٠٤.
(٦) سورة يونس،الآية ٥٤.

إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[١].

﴿ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾، لم يقل عودي وارجعي وأدخلي الجنة حتى تكون مع العباد الصالحين وإنما جنتي وعبادي نوع من التقريب والإلصاق من قبل الله عز وجل لهذه النفس المطمئنة، هذا ليكن منطلق حديثنا عن موضوع (الرضا) النفسي؛ لأن النفس كانت نفسا راضية ستكون نفسا مرضية من قبل الله عز وجل مقدمة رضا الله عز وجل عن الإنسان أن يكون الإنسان في مقام الرضا عن ربه سبحانه وتعالى وهذا الرضا له فروع متنوعة متعددة منها:-

الرضا بالتكاليف والأحكام

الله سبحانه وتعالى علم أن هذا الإنسان لكي يتكامل لابد من أن يختار له برامج معينة فاختار الله سبحانه وتعالى لهذا الإنسان أنبياء ثم زودهم بالكتب ثم أعطاهم الشريعة لكي يوصلوها إلى هذا الإنسان لطفا منه تعالى لهذه البشرية، فاختار لهم أحكاما وأنبياء وأوصياء واختار لهم مسارا وينبغي أن يرضى الإنسان بما قسم الله له في هذا المستوى وليس لأحد الاعتراض على الله فيما اختار سبحانه وتعالى له بل ينبغي أن يكون راضيا: **﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾**[٢]، في آية اخرى: **﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيما ﴾**[٣].

نجد هذا عندنا في أدعية المختصة بالرضا مثلا يستحب حكاية الاذان عند سماعه كما ورد في رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، «**أن الإنسان إذا سمع المؤذن يؤذن ووصل**

(١) سورة سبأ، الآية ٣٣.

(٢) سورة القصص، الآية ٦٨.

(٣) سورة النساء، الآية ٦٥.

إلى (أشهد أن لا إله إلا الله) يستحب أن يقول على أثر ذلك (رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا اللهم صل على محمد وآل محمد وبعلي إماما وبالمعصومين أئمة)»[١] هذا وارد في هذا المكان، وفي رواية أخرى الشيخ الصدوق (رحمه الله): روي عن محمد بن الفرج أنه قال: كتب إلى أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام ... إذا انصرفت من صلاة مكتوبة فقل:

«**رضيت بالله ربا، وبالاسلام دينا، وبالقرآن كتابا، وبالكعبة قبلة، وبمحمد نبيا، وبعلي وليا، والحسن، والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي ابن محمد، والحسن بن علي، والحجة بن الحسن بن علي عليهم السلام أئمة...**»[٢].

ويوجد مورد ثالث وذلك عندما يغادر الإنسان هذه الدنيا وينزل إلى قبره ففي رواية صحيحة عن ابي بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**إذا سللت الميت فقل: «بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله، اللهم إلى رحمتك لا إلى عذابك «فإذا وضعته في اللحد فضع فمك على أذنه فقل: الله ربُّك والإسلام دينك ومحمَّد نبيك والقرآن كتابك وعليٌ إمامك**»[٣] هذا رضا الإنسان عن العقائد والتشريعات التي سنها الله سبحانه وتعالى عليه.

فهذا بالإضافة إلى ما تشير هذه الروايات عن موضوع الرضا عن الأحكام والرضا عن التشريعات والرضا عن العقائد تشير إشارة مباشرة إلى قضية النص والتنصيب لأئمة أهل البيت عليهم السلام، فأنا أرضى بهؤلاء ليس بأي اعتبار وإنما باعتبارهم أئمة، بهذا التعبير وبهذا التحديد فأول ما يرتبط بالرضا وأحد فروع الرضا هو الرضا عن المنظومة

(١) تهذيب الاحكام،ج ٢،ص ١٠٩ ح ٤١٢.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢١٤، ح ٩٥٩.
(٣) الكافي، ج٣، ص١٩٥.

العقائدية والتشريعية من قبل الله عز وجل والفروع الباقية تأتي تباعا كالرضا عن العطاء الإلهي والرزق.

هذا الفرع الأول في قضية الرضا.

الفرع الثاني: مايرتبط بالرضا عن العطاء الإلهي والرزق: في هذه الدنيا الله سبحانه وتعالى قدر أرزاق الخلق والعباد وعلم مايصلح كل أحد فأعطاه ﴿ **وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ** ﴾ ليس عبثا وإنما ﴿ **بِمِقْدَارٍ** ﴾[1].

فالله سبحانه وتعالى لم يؤخر عنك مالا لبخل منه ولم يجعل المال لذلك الشخص لمصلحة خاصة (حاشا) وإنما قدر في هذا الكون أقوات الكائنات ليس فقط بالنسبة لك أنت أيها الإنسان، بل أقوات الكائنات، طعام الكائنات، رزق الكائنات: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[2]،

كل شيء في كتاب وحساب ومقدار وميزان يجري على أساس الحكمة الإلهية والمعرفة بكل شيء، إذا صار الأمر هكذا فلو أخر عني شيئا من الرزق فلا ينبغي أن أعترض ولو زادني في وقت آخر أكون شاكرا وإن أخر عني أكون شاكرا وراضيا أيضا.

هناك فرع ثالث وهو فرع الرضا بما يفد على الإنسان من المصائب والمشاكل: ففي المرحلة الأولى قلنا رضا بالعقائد والأحكام والتشريعات، ورضا بالرزق والعطاء الإلهي والقسمة، قسم الله لك هذا العدد من الأولاد ذكورا أو إناثا لقوله تعالى: ﴿ **يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ** ﴾[3]، أو يزوجهم يعني يعطي من هذه ومن ذاك

(١) تفسير سورة الرعد، الآية ٨.
(٢) سورة هود، الآية ٦.
(٣) سورة الشورى، الآية ٤٩.

أو يزوجهم ذكورا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما. وكل ذلك يجري لا بخل من عند الله عز وجل، ولا لغفلة منه، ولا لعدم حساب، فكل شيء عنده بمقدار هذا في الرزق.

الرضا بأن يرضى الإنسان بما قسم الله له من رزق هذه الدنيا ويرضى أيضا فيما قد يفد إليه من المصائب والمشاكل. إذا عرف الإنسان من البداية أن هذه الدنيا أساسا ليست دار استراحة،ولو كانت دار استراحة فهي مخلوطة إن أنصفك الدهر كما قال ذلك الحكيم «إذا أنصف معك الدهر،فيوم لك ويوم عليك» وبالجملة فيوم القيامة يوم الندم والملامة، ولات حين مناص.

-١٢-

النفس المرضية

في ظل الآيات الأخيرة المباركة من سورة الفجر نجد هذا التعبير الرائع ألا وهو النفس المرضية، وذلك بعد أن أشار عز وجل الى كونها أولا نفس مطمئنة وهي التي تسكن إلى ربها، بعد ذلك وصفها بالراضية: وهي النفس المتكاملة الراضية من ربها رضا الرب منها، وإطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى تكوينا أو حكم به تشريعا، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، ومن ثم وصفها ب(مرضية): وهذا اللقب المبارك يأتي في الذكر الحكيم، ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[1].

وفي الروايات ضمن أوصاف النفس المطمئنة، ويذكر بعد الراضية، إلا أنه أشرف وأقوى من حيث ما قاله النيسابوري في تفسيره: إن الراضية هي النفس الراضية والمسلمة لكل المقدرات الكائنة والأحكام الجارية التي تصلها من الله.

و النفس المطمئنة للسيدة الزهراء لو لم تكن راضية من الله، لما كانت مرضية عند الله، ولما حازت هذا اللقب، إن هذا اللقب غاية في التمجيد لفاطمة الصديقة الطاهرة عليها السلام، وقد ظهرت صفة الرضا بنحو الكمال في حبيبة ذي الجلال، بل اتحد رضاها برضا الله ورسوله وارتفعت المغايرة، وإلا لما قال النبي صلى الله عليه وآله: «**رضا فاطمة من رضاي، وسخط**

(١) سورة الفجر،الآيتان٢٧ ـ ٢٨.

فاطمة من سخطي»[١]، ومثلها أيضا نفوس الأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد نزل في رضا فاطمة آي الذكر الحكيم في قوله: ﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى** ﴾[٢].

روي في سبب نزولها حدثنا جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، قال: «دخل رسول الله على فاطمة وعليها كساء من جلد الإبل، فلما رآها بكى وقال: **يا فاطمة تعجلي مرارة الدنيا بنعيم الآخرة [الجنة]** غدا فأنزل الله تعالى:﴿ **وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى** ﴾»[٣]، خصوصا نفس سيد الشهداء عليه السلام الذي أؤولوا فيه قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾، وهذه الثمرة من تلك الشجرة كما أن الواحد من العشرة..

ففي الأولى الرضا من العبد، وفي الثانية الرضا من الله، والمناط رضا الحق عن العبد، لأن العبد إذا رضي عن الله رضي الله عنه، لقوله تعالى: ﴿ **رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** ﴾[٤].

وفي مجمع البحرين: الراضية وهي التي رضيت بما أوتيت، والمرضية هي التي رضى عنها.

عن داود بن فرقد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**اقرؤوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم، فإنها سورة الحسين بن علي، وارغبوا فيها رحمكم الله**، فقال له أبو أسامة وكان حاضر المجلس: كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصة؟ فقال: **ألا تسمع إلى قوله تعالى: ﴿يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً**

(١) اثبات الهداة ج٣، ص٤٠٦.
(٢) سورة الضحى، الآية ٥.
(٣) شواهد التنزيل، ج٢، ص٤٤٥.
(٤) تفسير سورة التوبة، الآية ١٠٠.

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾؟إنما يعني الحسين بن علي عليه السلام ،فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية وأصحابه من آل محمد(صلوات الله عليهم) الراضون عن الله يوم القيامة وهو راض عنهم،و هذه السورة[نزلت]في الحسين بن علي عليه السلام وشيعته، وشيعة آل محمد خاصة، من أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنة، إن الله عزيز حكيم..»[1].

هذه المرتبة أسمى وآخر مقام لكمال النفس الإنسانية، فهذه المرتبة مقام لوصل وتودد النفس الناطقة بالروح الملكوتية.

ففي النفس الراضية كان الرضا والاستحسان من قبل العاشق، بيد أن العاشق لم يكن مطمئنا تماما من رضا المعشوق، وإنما كان يستشعر احيانا آثارا لرضا المحبوب، ولكن في هذا المقام (النفس المرضية) تحصل النفس الناطقة على الاطمئنان القلبي، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى أيضا يظهر له رضاه عن النفس الناسوتية ويثبت ويعلن له عشقه سبحانه إياه، وتوصيفها بالراضية لأن اطمئنانها إلى ربها يستلزم رضاها بما قدر وقضى تكوينا أو حكم به تشريعا فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضي العبد من ربه رضي الرب منه إذ لا يسخطه تعالى إلا خروج العبد من زي العبودية فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضا ربه ولذا عقب قوله ﴿ **رَاضِيَةً** ﴾ بقوله ﴿ **مَرْضِيَّةً** ﴾.

وعن سدير الصيرفي،قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام،جعلت فداك،يا بن رسول الله، هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: «**لا والله، إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول[له]ملك الموت: يا ولي الله، لا تجزع، فو الذي بعث محمدا** صلى الله عليه وآله

(١) تفسير البرهان، ج٥، ص٦٥٧.

لأنا أبر بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر، قال: ويمثل له رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين، وفاطمة الزهراء، والحسن، والحسين، والأئمة من ذريتهم عليهم السلام، فيقال له:هذا رسول الله وأمير المؤمنين، وفاطمة الزهراء، والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وفقاؤك. قال: فيفتح عينيه، فينظر فينادي روحه مناد من قبل رب العزة، فيقول: يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ،إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضية بالولاية مرضية بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمدا وأهل بيته وادخلي جنتي فما شيء أحب إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي»[1].

(١) الكافي، ج٣،ص١٢٧.

-١٣-

النفس الملهمة

وهي النفس التي ألهمها الله عز وجل والتي قال عنها القرآن الكريم: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[1].

وهي التي لا تزال ملهمة بإلهام الله تعالى في مهماتها وطاعاتها ونسكها، وفي الإطلاع على المغيبات، أو في فجورها وغرورها، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾. ولكن إلهام الفجور والمعصية خذلان وخسران لها، وإلهام الطاعات والعبادات توفيق وإحسان لها من الله تعالى، وتستمر في التكامل حتى تصل إلى مرحلة الاطمئنان النفسي.

﴿**فَأَلْهَمَهَا**﴾ من الإلهام، وهو في الأصل بمعنى البلع والشرب، ثم استعمل في إلقاء الشيء في روع الإنسان من قبل الله تعالى، وكأن الإنسان يبتلع ذلك الشيء ويتشربه بجميع وجوده، وجاء بمعنى (الوحي) أيضا. بعض المفسرين يرى أن الفرق بين (الإلهام) و(الوحي)، هو إن الفرد الملهم لا يدري من أين أتى بالشيء الذي ألهم به، وفي حالة الوحي يعلم بالمصدر وبطريقة وصول الشيء إليه.

الإلهام: بحسب علوم النفس إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص الله به بعض أصفيائه.

وجاءه الإلهام في عزلته: ما يلقي به الله من أمر في نفس عباده الأصفياء لهديهم

---

(١) سورة الشمس، الآية: ٨.

واطمئنان قلوبهم.

وإلهام الشاعر: ما يلقى في نفسه من صور وأفكار ومعان ¨ من أين يأتي هذا الشاعر بإلهامه.

الرضا هو موافقة النفس فعلا من الأفعال، دون وجود تعارض بينهما، يقال: رضي بكذا، أي وافقه، ولم يمتنع منه، ويتحقق بعدم كراهته إياه سواء أحبه أم لم يحبه ولم يكرهه، فرضا العبد عن الله هو أن لا يكره بعض ما يريده الله، ولا يحب بعض ما يبغضه، ولا يتحقق إلا إذا رضي بقضائه تعالى، وما يظهر من أفعاله التكوينية وما أراده منه تشريعا.

يعتبر الرضا المحور الذي تدور حوله أخلاق العرفاني، إذ منه ينبع التوكل والزهد، وهو يورث السكينة في القلوب والاطمئنان إلى أحكام قضاء الله، وهو ثمرة المحبة؛ لأن شأن المحب أن يرضى بكل ما يفعله المحبوب؛ لأنه منة من الله على العبد.

والرضا من المقامات التي يصل إليها السالك بعد أن تصفو نفسه عن طريق التوبة والطاعة والإخلاص، وترتقي من حال النفس الأمارة إلى مقام النفس اللوامة، ثم إلى مقام النفس الملهمة، حتى تصل إلى مقام النفس المطمئنة، فالمرضية.

وبعد مقام الرضا ينتقل الإنسان السالك طريق الحق الى الله سينتقل الى مقام النفس الملهمة فمقام النفس المطمئنة، فالمرضية بعد ذلك الى مقام التسليم.

وللتسليم درجات ثلاث:

الدرجة الأولى: التسليم أمام الأمور التي تعجز العقول عن إدراكها وأرادوا بذلك عدم البحث عن الأسباب؛ لأن العقول تدرك الأمور بأسباب معينة، وأما إذا كان

هناك من الأمور ما هو فوق العقل، فلا يجب إنكاره، بل يجب التسليم به، بالأخص إذا كان صادرا من مكان ثقة يعلو العقول بقدرته على كشف حقائق الوجود، لذلك قال التلمساني: «فمن حقق مقام التسليم حتى صح له وكمل عنده، فهو تسليم إلى الله تعالى مما هو غيب عنه مما يزاحم العقول والأوهام، فلا يلتفت إلى السبب في كل ما غاب عنه من أمور الدنيا والآخرة»[١].

وهذا من جهة التسليم بما هو غائب، ولكن للتسليم وجها آخر، وهو التسليم مقابل الأمور غير الغائبة والتي تتعارض مع العقول. يعتقد العرفاء أن السالك تحصل له حالات في أثناء حركته السلوكية تجعله يرى من المعاني الغيبية ما لا يمكن فهمه والإذعان له في عالم العقول، فهل ينكر العارف ما رآه، أو يسلم؟ الواضح أن التسليم يقتضي القبول والرضوخ.

الدرجة الثانية: التسليم للحال التي تحصل للسالك[٢]. والمقصود منها التسليم لوجود المعاني الباطنية عند السالك، والتي لا يدل العلم عليها، وهذا أعلى درجة من الأول والانتقال من الحجاب إلى الكشف ومن الخبر إلى العيان، وهذا يعني أن الحال التي يسيطر على العارف في أثناء سيره وسلوكه يجعله يسلم، ويقبل الحقائق التي لا يمكن قبولها من دونه، لأن ظاهرها مخالف للعلم، والانتقال من الرسم إلى الحقيقة عبارة عن أن يسلم السالك نفسه ليفنى في شهود الحقيقة.

الدرجة الثالثة: تسليم ما دون الحق إلى الحق. إن هذه الدرجة تكمل الدرجة السابقة، وبناء عليها فإن كل ما سوى الحق ليست سوى مظاهر وظلال، وإذا أدرك السالك أن كل ما سوى الله تعالى ليس إلا هذه الرسوم الظاهرية، وأن الحقيقة هي لله

(١) شرح منازل السائرين، ص ٢١٢.
(٢) شرح منازل السائرين، ص ٢١٤.

تعالى وحده، فقد سلم به.

فمن وصل إلى مقام التسليم فقد وجد نفسه مسلمة إلى الحق.

ويرى بعض آخر من العلماء أن النفس الملهمة هي أعلى مراتب النفس، حيث مرتبة الطهارة من الذنب، التي يكون بها الإنسان ملهما من الله تعالى، ويستطيع أن يميز طريق الخير وطريق الشر بنفسه.

وفي الأثر أن زوج العزيز (زليخا) قالت ليوسف عليه السلام لما أصبح حاكم مصر:

إن الحرص والشهوة تصير الملوك عبيدا، وإن الصبر والتقوى يصير العبيد ملوكا، فقال يوسف عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾[1].

وعنها أيضا قالت لما رأت موكب يوسف عليه السلام مارا من أمامها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها إنا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه قالت إني لا أخاف من يخاف الله فلما دخلت قال لها يا زليخا ما لي أراك قد تغير لونك قالت الحمد لله الذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيدا وجعل العبيد بطاعتهم ملوكا قال لها ما الذي دعاك يا زليخا إلى ما كان منك قالت حسن وجهك يا يوسف فقال كيف لو رأيت نبيا يقال له محمد يكون في آخر الزمان أحسن مني وجها**»[2].

نعم، عبادة النفس تؤدي إلى وقوع الإنسان في أغلال الرقية (يصبح الإنسان عبدا لهوى النفس)بينما تزكية النفس توفر أسباب التحكم في الكون.

ما أكثر الذين وصلوا بعبوديتهم لله تعالى درجة جعلتهم أصحاب ولاية تكوينية،

(١) سورة يوسف، الآية: ٨، المحجة البيضاء، ج ٥، ص ١١٦.
(٢) المحجة البيضاء، ج ٥، ص ١١٧

ومكنتهم بإذن الله أن يؤثروا في حوادث هذا العالم وأن تصدر عنهم الكرامات وخوارق العادات! إلهي! أعنا على أنفسنا وعلى كبح جماح أهوائنا.

إلهي! لقد ألهمتنا (الفجور) و(التقوى) فوفقنا للاستفادة من هذا الإلهام.

-١٤-

النفس المحبة لأهل البيت عليهم السلام

النفس الإنسانية بطبيعتها باحثة عن حقيقة وجودها والى أين مآلها وهذا البحث إبتدأ من أبينا آدم وأمنا حواء عندما وسوس لهما الشيطان اللعين بما هو شاغلهما بعد معرفتهما الله ووجوب طاعته، ألا وهما الملك والخلود فنجح في مسعاه، كما ورد في كتاب الله الكريم فقال: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾[١]، وجاء هذا من خلال ما تأثرت به أولا الحواس وما فكر به العقل ثانيا، وما تعلق في القلب ثالثا، وللقلب دور مركزي في صدور الأفعال عن الإنسان، وهذا الدور مرتبط بالشيء المحبوب الذي يتعلق به قلب الإنسان، من هنا يمكن أن نستنتج أنه إذا صلح القلب صلح الإنسان بصلاح أعماله واستقامتها، ويمكن أن نفهم معنى كلام الإمام الصادق عليه السلام: «**وهل الدين إلا الحب**»[٢].

وجواب الإمام الباقر لسائل يسأله عن كيفية معرفة إن كان على خير فقال له عليه السلام: «**إذا أردت أن تعلم أن فيك خيرا، فانظر إلى قلبك، فإن كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففيك خير والله يحبك، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته،**

(١) سورة الأعراف، الآية ٨.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج٢٦، ص٧١٦.

فليس فيك خير والله يبغضك، والمرء مع من أحب»[١].

والسبب في ذلك أن حب أهل الخير سوف يكون مدعاة لاتباعهم والاقتداء بأعمالهم، وحب أهل السوء سوف يكون كذلك أيضا.

هناك فرق بين المودة والمحبة، الفرق بين المحبة والمودة هو الفرق بين المؤثر وأثره، والسؤال كيف يكون الفرق بين المؤثر وأثره؟!

مثلا: ما الفرق بين الخضوع والخشوع قال تعالى: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾[٢]؟!

الجواب: الخشوع: مؤثر، والخضوع: أثر، يعني إذا خشع قلبي خضعت جوارحي فالخشوع صفة للقلب والخضوع صفة للبدن فالخشوع أولا والخضوع ثانيا، قال الإمام علي عليه السلام: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله أبصر رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال: (إنه لو خشع قلبه لخضعت جوارحه)**»[٣].

إذن خشوع أولاً خضوع ثانياً.

نفس الشيء يجري ما بين المودة والمحبة، المحبة: صفة نفسية، والمودة: صفة عملية من أحب شخصا وده، فالحب: هو المؤثر، المودة: هي أثر للحب، المحبة لابد من ورائها المودة وعلامة الحب هي المودة، إذن الحب صفة نفسية عاطفة قلبية وأما المودة فهي سلوكي أثر عملي متفرع على الحب، لذلك لاحظ القرآن عندما تحدث عن علاقة الزوج بالزوجة لم يعبر بالمحبة وإنما عبر بالمودة قال تعالى:

---

(١) الكافي، ج٣، ص ٣٢٨.

(٢) سورة لمؤمنون، الآيتان: ١-٢.

(٣) إرشاد القلوب، ص ١١٥.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1]، لماذا؟ يريد أن يقول علاقة الزوجة ليست علاقة عاطفية محضة بل علاقة سلوكية ليس مجرد حب الزوجة وحرارة عاطفية داخلية، حب الزوجة عاطفة وعمل، عاطفة وسلوك، حب الزوجة زوجها أيضا ليس مجرد حرارة عاطفية، حب الزوجة زوجها عمل وسلوك، إذن المودة سلوك متبادل بين الزوجة والزوج.

أيضا لما تحدث القرآن عن علاقة المسلم بأهل البيت عليهم السلام عبر بالمحبة ولم يعبر بالمودة قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[2]، لبيان ماذا؟! يريد أن يقول ليس المطلوب من المسلم تجاه أهل البيت مجرد حرارة عاطفية مجرد إقبال عاطفي، المطلوب من المسلم تجاه أهل البيت أكثر من ذلك فالمطلوب سلوك عملي وتبادل عملي، فالمطلوب هو المودة وليس مجرد المحبة،

مثلا: أنت ترى كثيرا من المسلمين تتحدث معهم ويقولون لك ليس فقط أنتم الشيعة تحبون أهل البيت نحن أيضا نحب أهل البيت، طيب أين السلوك العملي؟! من يحب أهل البيت يحمل مودة لأهل البيت، فما هي المودة التي تحملها تجاه أهل البيت؟! أنا أحضر مواليدهم وأحضر وفياتهم أذكر فضائلهم أزور قبورهم،أما أني أقول أنا أحبهم وأنا لا ازور قبورهم ولا أحيي وفياتهم ولا أحيي مواليدهم ولا أذكر فضائلهم لا أذكر مناقبهم أذن أين المودة؟!

من هنا كان الحب من أهم العوامل التي تسهل سبيل الطاعة. بل بإمكاننا القول أيضا إن الطاعة ليست سوى أحد لوازم الحب، فبمقدار الحب تكون الطاعة، ذلك لأن

(١) سورة الروم، الآية ٢١.
(٢) سورة الشورى، الآية ٢٣.

القلب هو أمير البدن كما في حديث النبي الأكرمﷺ: «...**إن الله تعالى ما فرض الإيمان على جارحة من جوارح الإنسان إلا وقد وكلت بغير ما وكلت به الأخرى، فمنها قلبه الذي يعقل به ويفقه ويفهم ويحل ويعقد ويريد وهو أمير البدن**»[1].

وكل الأعمال التي تصدر عن الأعضاء والجوارح، إنما تكون بإمرة القلب، وليس العقل كما يتصور أحيانا. فعقولنا ليست سوى مصباح، يضيء لنا طريقنا، أما المحرك الواقعي والمسؤول الحقيقي عن أية حركة وفعل مهما كان بسيطا فهو القلب.

الحب يوصل النفس إلى كمالها ويظهر المواهب الكامنة المحيرة، إنه يلهم القوى المدركة، ويقوي مشاعر الإرادة والعزيمة، وإذا ما تسامى في العلى صنع الكرامات وخوارق العادات، إنه يطهر الروح من الأخلاط والشوائب، فالحب بعبارة أخرى، يصفي، إنه يمحو الصفات الرذيلة الناشئة من الأنانية أو من البرود وانعدام الحرارة، كالبخل، والتقتير، والجبن، والكسل، والتكبر والعجب، إنه يزيل الحقد والحسد، وإن قيل إن الحرمان والإخفاق في الحب يمكن أن يخلقا بدورهما الحقد والعقد، فالحب بدوره المركزي أضحى أحد أهم مميزات الإسلام، والتركيز على الحب ودوره في حياة الإنسان ومصيره ليس أمرا هامشيا أو عبثيا؛ لأن الإسلام أراد إصلاح الإنسان من خلال إصلاح مركز وجوده ومعدنه، هذا الإصلاح يتحقق عندما يتعلق القلب بالكمال الحقيقي الذي تعشقه الفطرة الإنسانية وتميل إليه.

ولكن لأن طبيعة الناس ونفوسهم مستغرقة في عالم الدنيا والظاهر، ولا يمكنهم في البداية أن يتعرفوا إلى المصداق الحقيقي للكمال المطلق وهو الله، فقد أنزل الحق تعالى إليهم مظاهر هذا الكمال بجلباب البشرية لكي يتعرفوا إليه من خلالها.

---

(١) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص٧٣.

فكان أعظم ما في هذا الوجود هو خلق هذا الخليفة لله بصورة البشر لقوله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[١]، فكان هذا الخليفة الواقعي هو المظهر والممثل الحقيقي للمستخلف، أي مظهر إرادة الحق وكمالاته المطلقة في هذا العالم.

ولهذا كان خلق أهل البيت عليهم السلام حيث يشاهد الناس أمامهم بشرا يمشون في الأسواق، ويأكلون الطعام، وينامون، ويتزوجون، ومع ذلك فهم مظاهر تامة للكمال الإلهي اللامتناهي. وهذا مما سيلهب وجدانهم ويزيد من شوقهم ويلقي الحجة التامة عليهم. كما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه: أي عرى الإيمان أوثق فقالوا: الله ورسوله أعلم وقال بعضهم الصلاة وقال بعضهم الزكاة وقال بعضهم الصيام وقال بعضهم الحج والعمرة وقال بعضهم الجهاد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لكل ما قلتم فضل وليس به ولكن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله وتوالي أولياء الله والتبري من أعداء الله**»[٢].

عن زرارة عن ابي جعفر عليه السلام قال: «**ذروة الامر وسنامه ومفتاحه وباب الاشياء ورضا الرحمن تبارك وتعالى الطاعة للامام بعد معرفته ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾**[٣]»[٤].

وفي رواية أخرى أن رجلا يدعى أبا عبد الله دخل على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له الإمام: «**يا أبا عبد الله: ألا أخبرك بقول الله عز وجل ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ۞ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا**

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.
(٢) الكافي، ج٢، ص١٢٥.
(٣) سورة النساء، الآية ٨٠.
(٤) الكافي، ج١، ص١٨٦.

مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١]، قال: بلى يا أمير المؤمنين. فقال الإمام عليه السلام: **الحسنة معرفة الولاية، وحبنا أهل البيت، والسيئة إنكار الولاية، وبغضنا أهل البيت**»[٢].

(١) سورة النمل، الآيتان ٨٩-٩٠.

(٢) الكافي، ج١، ص١٨٥.

-١٥-

النفس الحيوانية

النفس عند الحكماء: كمال أول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يتغذى وينمو أو يحس ويتحرك بالإرادة أو يعقل الكليات ويستنبط الآراء، وقد يعبر عن كل ذلك بلازم واحد وهو: من حيث أنه ذو حياة بالقوة والمقصود بالكمال الأول: الصورة التي يحصل الجسم فيها حيا، إذ الكمال مجرد عن قيد (الأول) جنس يتناول المحدود وغيره، أما الكمال الثاني للجسم الطبيعي الآلي فيتناول جملة الصفات سوى ذلك كالشكل واللون وما أشبه.

وهي على أنواع: نفس نباتية وخاصيتها التغذية والنمو، ونفس حيوانية وخاصيتها الحس والحركة الإرادية، ونفس ناطقية وخاصيتها إدراك المعقولات، ونفس قدسية وخاصيتها أن تكون محلا للفيوضات الربانية والأسرار الإلهية.

والنفس التي ينبغي على الإنسان التعرف عليها ولا ينبغي الغفلة عنها هي تلك النفس التي نبه الله تعالى في كتابه على عدم نسيانها لقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾[1].

القوة الحيوانية: اسم مؤنث منسوب إلى حيوان، قوة حيوانية: إحساس يعني الحاسة والحس.

مصدر صناعي من حيوان: بهيمية، جنسية، جانب حيواني من الطبيعة البشرية

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

والحسية الحيوانية لها خمس قوى: سمع، وبصر، وذوق، وشم، ولمس، ولها خاصيتان: الشهوة والغضب، وانبعاثها من القلب، وهي أشبه الأشياء بنفس السباع.

فهي إما أن تكون محركة أو مدركة، فإن كانت محركة، فهي إما مباشرة للتحريك أو باعثة عليه، أما المباشرة للتحريك فهي القوى الموجودة فى العضلات التي من شأنها أن تحركها تارة الى الجذب وتارة الى الدفع.

وأما الباعثة فلها مراتب: المرتبة الأولى من تلك القوى العضلية هي الإرادة الجازمة، والشوق الجازم، وهذه الإرادة الجازمة إنما تتولد من شهوة القوة علقة تجذب الملائم أو من غضب يتعلق بدفع المنافي، وهذه الشهوة والغضب إنما يتولدان من شعور الإنسان بكون الشيء ملائما أو بكونه منافيا، فإن حصل الشعور يكون الشيئ ملائما ترتب عليه الميل عن هذا الشعور، وإن حصل الشعور بكونه منافيا ترتب الغضب على هذا الشعور، ثم هذا الشعور قد يكون مختلفا وقد يكون فكريا.

أما القوى المدركة، فهي إما القوى المدركة الظاهرة وهي الحواس الخمس وإما القوى المدركة الباطنة وهي عندهم (الحكماء) خمس:

وطريق الضبط أن نقول: هذه القوى الباطنة إما مدركة، أو متصرفة.

أما المدركة، فإما أن تكون مدركة لصور المحسوسات، وهي القوى التي تجتمع فيها صور الحواس الخمس وهي المسماة عندهم بالحس المشترك ـ وإما أن تكون مدركة للمعاني الجزئية التي لا تكون محسوسة لكنها تكون قائمة بالمحسوسات، وهو مثل حكمنا بأن هذا الشخص صديق وذاك الآخر عدو، وهذه القوة هي المسماة بالوهم، ثم لكل واحدة من هاتين القوتين خزانة، فخزانة الحس المشترك هي الخيال، وخزانة الوهم هي الحافظة، والمجموع أربع.

وأما المتصرفة فهي القوة التى تتصرف فى هذه الصور الجزئية، والمعاني الجزئية بالتركيب تارة والتحليل أخرى، وهي المسماة بالقوة المفكرة، فهذه هي الحواس الخمس الباطنة.

إن الحيوانات لديها إرادة تمكنها من الحركة الإرادية، فهي تتحرك بإرادتها من مكان إلى مكان، والإرادة الحيوانية هي تلك المسماة بالغريزة، وهي تسعى بشكل أساسي لما فيه بقاء الحيوان ومنفعته المادية.

وتنقسم هذه الغريزة أو الإرادة إلى نوعين أساسيين، فالأول هو الشهوة، وهي إرادة حيوانية أو غريزة تسعى لجلب النفع الجسدي للحيوان، مثل شهوة الأكل والشرب والجنس والراحة والنوم ...

والنوع الثاني هو الغضب، وهو إرادة حيوانية أو غريزة تسعى لدفع الضرر الجسدي عن الحيوان، مثل غضب الحيوان عندما يؤذيه أحد، أو عندما يرى صيادا ...

والإدراك الحيواني هو قدرة الحيوان على معرفة الواقع من حوله، وللحيوان نوعان من الإدراك، الأول هو الإدراك الحسي الذي يستخدم الحواس كاللمس والتذوق والشم والسمع والبصر، والثاني هو الإدراك الخيالي الذي يقوم بوظيفتين هما الذاكرة الحسية والتركيب الخيالي.

فالذاكرة الحسية هي قدرة بعض الحيوانات على تذكر الصور الحسية التي رأتها سابقا، حيث يسترجعها الحيوان في ذهنه أو خياله، فالقطة مثلا تعرف شكل صاحبها أي إنها تتذكر صورته، وكذلك الكلب، والحمار يتذكر الطريق من وإلى الحقل...

أما التركيب الخيالي فنقصد به قدرة بعض الحيوانات على تركيب الصور الحسية التي رأتها سابقا في ذهنها أو خيالها للوصول إلى صور جديدة تساعدها مثلا في حل

بعض المشكلات التي تقابلها، فالعديد من التجارب أيضا توضح قدرة الغراب مثلا على حل بعض الألغاز التي تتطلب تركيب الصور الحسية في ذهنه أو خياله أولا ثم تركيبها في الواقع ثانيا.

وبالتالي ما يجعل الإنسان إنسانا فاضلا هو أن تسيطر قواه العقلية والروحية والمعنوية على قواه الحيوانية، فيكون العقل بعلومه الصحيحة هو الحاكم في مملكة الإدراك وليس الحس أو الخيال، ويساعد على ذلك التزام الخط الإلهي الأصيل المتمثل بمحمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين وتعلم العلوم الصحيحة والاعتقادات الحقة، وخير مثال على هذا الكلام هو قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع أو أبيت مبطانا وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:**

وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القد»[1].

وأن يكون الضمير هو المتحكم في إرادة النفس وليس غريزة الشهوة أو الغضب، من هنا فإن سيطرة الإنسان على أهوائه وضبط رغباته يعدان أمرا ضروريا. فنفس الإنسان كفرس جموح غير مروض، إذا لم يعمل على تهدئته بالرياضة والتمارين فلن يتمكن من الاستفادة منه، وإذا بقي على اضطرابه وهيجانه فسيؤدي به إلى الهاوية حتما، كما قال مولى الموحدين عليه السلام: «**اغلبوا أهواءكم وحاربوها فإنها إن تقتدكم توردكم من الهلكة أبعد غاية**»[2].

ويساعد عليه تربية النفس أو ما يسمى بتهذيب النفس أو رياضة النفس، وهذا ما

(١) نهج البلاغة،ج ١، ص ٤١٦، من كتابه عليه السلام إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف.
(٢) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ١١٤.

يؤدي إلى السعادة الإنسانية المعنوية والروحية والعقلية الحقيقية، ويسمو بالإنسان من مستنقع الحيوانية إلى سماء الملائكية.

فالنفس بمرتبتها الدنيا هي حيوانية الميول، لها صفات وآثار الحيوان، وتميل كما يميل أي حيوان، وبمرتبتها العليا هي إنسانية ملكوتية طاهرة كاملة، إلا أنها تحتاج لكمالها إلى التربية والتهذيب، فالإنسان يحتاج في المرتبة الدنيا إلى الماء والطعام والمسكن والهواء والزواج وغير ذلك، فهو حيوان بالفعل، إلا أن النفس تقبل النمو والتربية، وتميل إلى الكمال والصفات الكمالية من علم ومعرفة وإحسان وإيثار وعدالة وعفو واستقامة وصدق وأمانة وشجاعة وكرم وحب للخير ودفاع عن المظلومين وغير ذلك، وبهذا يكون كمالها وبذلك تصل إلى مرتبتها العليا، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها**»[1].

فالذات الحيوانية تسعى دائما لإرضاء رغباتها وميولها، وتحاول أن تقطع طريق الرقي والتكامل على النفس الإنسانية، وعلى العكس من ذلك، فإن الذات الإنسانية تسعى دائما للسيطرة على الرغبات والغرائز الحيوانية من أجل طي المراحل الرفيعة للكمالات الإنسانية، حتى تنال مقام القرب الإلهي، فإذا تغلب البعد الإنساني في هذا الصراع ارتقى الإنسان في مدارج الكمال، ولو تغلب البعد الحيواني فيه انحدر الإنسان في وادي الضلال والانحراف لقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ** ﴾[2].

---

(١) غرر الحكم، ص٢٣١، ح ٤٦١٦.

(٢) سورة الجاثية، الآية ٢٣.

-١٦-

النفس النباتية

عن كميل بن زياد أنه قال: «سألت مولانا أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقلت يا أمير المؤمنين أريد أن تعرفني نفسي قال: **يا كميل وأي الأنفس تريد أن أعرفك**، قلت: يا مولاي هل هي إلا نفس واحدة، قال: **يا كميل إنما هي أربعة النامية النباتية والحسية الحيوانية والناطقة القدسية والكلية الإلهية ولكل واحدة من هذه خمس قوى وخاصيتان فالنامية النباتية لها خمس قوى ماسكة وجاذبة وهاضمة ودافعة ومربية ولها خاصيتان الزيادة والنقصان وانبعاثها من الكبد والحسية الحيوانية لها خمس قوى سمع وبصر وشم وذوق ولمس ولها خاصيتان الرضا والغضب وانبعاثها من القلب والناطقة القدسية لها خمس قوى فكر وذكر وعلم وحلم ونباهة وليس لها انبعاث وهي أشبه الأشياء بالنفوس الفلكية ولها خاصيتان النزاهة والحكمة والكلية الإلهية لها خمس قوى بهاء في فناء ونعيم في شقاء وعز في ذل وفقر في غناء وصبر في بلاء ولها خاصيتان الرضا والتسليم وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود قال الله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾ وقال تعالى: ﴿ يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴾ والعقل في وسط الكل**»[1].

النفس النباتية: حالة تكون مبدأ الاغتذاء والنماء.

النفس النباتية: صورة نوعية عديمة الشعور تحفظ تركيب النبات وتصدر عنها

(١) بحار الأنوار، ج٥٨، ص٨٤.

النمو في الأطراف والأفعال المختلفة بالآلات المختلفة كالقوة الغاذية والنامية والمولدة والجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة.

وتلك الصورة كمال أول لجسم طبيعي آلى من جهة التولد والنمو والتغذية فقط.

وهي موجودة في النباتات والحيوانات ومنها البشر، وهذه النفس النامية النباتية موجودة حتى في المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين.

ومعناها: ما جعله الله تعالى في الشيئ بحيث ينمو ويكبر كالشجرة، والحيوان ينمو ويكبر لوجود النفس النباتية وكذلك الإنسان، لكن نمو الشجرة ليس كنمو الدجاجة مثلا؛ لأن الدجاجة تنمو وتتحرك بالإرادة، أما النبتة والشجرة وكل نبات ليس لديهم إرادة، مثلا النبتة لا تبحث عن طعامها كالحيوانات التي تتحرك بالإرادة للبحث وجلب طعامها وكذلك في نومها وكلامها... أما النبتة فلا تتحرك وإنما يؤتى بالماء إليها وهو غذاؤها وأيضا يوضع لها السماد، فالحيوان لديه نفس حيوانية يتحرك بواسطتها، فكل نفس تجعل الشيئ الذي هي فيه يتحرك بالإرادة يسمى هذا الشيئ حيوانا.

ولهذا الإنسان فيه نفس نباتية؛ لأنه ينمو ويتحرك بالإرادة لقوله تعالى ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[1]، ففيه نفس حيوانية – فسميت بذلك؛ لأن لها صفات كصفات الحيوان، وأهما: الشهوة والسلطة (الدنيوية) والغضب. وهذا الغضب (العصبية) منه محمود ومنه مذموم فمن الاول: الغضب لرؤية معصية، أو لظلم الدين، فقد ورد أن رجلا قال للنبي أوصني فقال ﷺ: «**لا تغضب ثم أعاد عليه فقال لا تغضب ثم قال ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد**

(١) سورة يس، الآية ٣٦.

الذي يملك نفسه عند الغضب»[1]، وربما يكون عالم الآخرة من هذا القبيل ففي القرآن الكريم يقول الباري عز وجل: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾،سورة العنكبوت،الآية ٦٤، فمعنى الحيوان: قسم من المفسرين قالوا: إن الحيوان مثنى يعني حياتان فكأنها هي الحياة الدنيا والحياة الآخرة، وقسم آخر من المفسرين قال: الحيوان يعني حياة حيوانية تتحرك الأشياء فيها بالإرادة، توضيح ذلك مثلا إذا قال العبد اللهم اعتقني من النار، فتقول النار: إلهي اعتقه مني أي تدعو بذلك وتقول الجنة: اللهم أدخله في، وتقول الور العين اللهم زوجنا منه وهكذا، فهذه تعقل ما تقول وفيها هذه الحياة، بل يقال إن أشجار الجنة وكل ما فيها كلها ذات حياة وعلى العكس منها فنباتات الحياة الدنيا لاتتحرك ولاتنطق وما شابه وإنما هي نامية بدون إرادة،والآية الشريفة تصوب هذا الكلام ﴿ ...**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾، أي دار حياة فهذه النفس الحيوانية موجودة في الحيوانات والإنسان لكن باختلاف وهو أن الإنسان يمتلك النفس العاقلة المدركة التي تدرك الكليات والحيوانات تدرك الجزيئات، فالحيوان هذا الشيئ يفيده يتقرب منه وإذا يضره يبتعد عنه، مثلا القطة عندما تدخل مكانا ما ويضربها أحد ففي المرة القادمة عندما تأتي الى نفس المكان لا تتقرب إلى النقطة التي حصل فيها ضربها فيه وهذا إدراك جزئي، في حين لو أن إنسانا ما خرجت له أفعى مثلا من جحر في مزرعة ففي المرة القادمة يتحرز ويبتعد عن كل جحر في نفس المزرعة؛ لأنه يحتمل وجود هذه الأفعى أو غيرها، فتتكون لديه قضايا كلية.

وعليه في الإنسان النفس أو الحياة النباتية والحيوانية والنفس الناطقية.

---

(١) تحف العقول، ج ١، ص٤٧.

-١٧-

النفس الناطقة القدسية

قال رسول الله ﷺ: «**أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه**»[١].

إن النشأة الدنيا هي دار ابتلاء للإنسان يحصل فيها اتصافه بما يؤهله لدخول الجنة او النار، فإن النفس تمر بمراحل أدناها النفس الهيولاتية التي ليس فيها من الفعلية شيئ بل هي استعداد محض، وأعلاها النفس الناطقة القدسية وهي التي حصلت على جميع ما يليق بها عبر عملية من التكامل أو خروج الاستعدادت من القوة الى الفعل.. فهذه النفس تكون خليقة بورود الجنان..اما النفس التي فشلت في الإبتلاء ولم يتسن لها إخراج ما اودع فيها الى الفعلية من الاستعدادات بل كسبت أضداد الكمالات فانها وإن خرجت إلى الفعلية بعد مفارقة البدن إلا إنها لا تكون متهيأة لدخول دار البقاء في الجنان بل تكون واردة مورد الشقاء والخذلان فتدخل النار.. فهذه النفس بالقياس إلى النفس المقارنة للبدن تكون أسوء حالا وإن لم تصل النفس المقارنة للبدن إلى الفعلية بعد.

والنفس الناطقة لها قوتان نظرية وعملية، ولها في كل منهما مراتب في الكمال والنقصان، أما النظرية فمراتبها أربع، وأما العملية، فأولها: تهذيب الظاهر بإستعمال الشرايع النبوية والنواميس الإلهية.

وثانيها: تزكية الباطن من الملكات الرديئة.

---

(١) جامع الأخبار، ج١،ص٤.

وثالثها: تحلية السر بالصورة القدسية.

وخير مثال على النفس الناطقة القدسية هي أنفس وأرواح المعصومين عليهم السلام والذين يحتاجون لروح القدس، كما هو وارد في بعض الروايات التي تشير إلى أنهم عليهم السلام يحتاجون إلى روح القدس لتحصيل بعض العلوم التي ليست عندهم، فعن أحمد بن محمد عن البرقي عن أبي الجهم عن أسباط عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قلت تسألون عن الشيء فلا يكون عندكم علمه قال: ربما كان ذلك، قلت كيف؟ تصنعون قال: تلقانا به روح القدس**»[١].

ثم إن بعض الروايات تحدد حقيقة هذا الروح بأنه خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل وأنه لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمة يوفقهم ويسددهم وأنه ليس كلما طلب وجد.

وقال المازندراني: «كما أن الروح يعني النفس الناطقة تسمى مطمئنة ولوامة وأمارة بالسوء باعتبارات مختلفة، كذلك تسمى روح المدرج بإعتبار أنها مصدر للذهاب والمجيء وسبب للحركة في الحوائج وروح الشهوة بإعتبار أنها مع القوة الشهوية... وروح القدرة... وروح الإيمان... وروح القدس باعتبار اتصافها بالقوة القدسية التي تتجلى فيها لوايح الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأوصياء وهم بسببها عرفوا الأشياء كلها كما هي وصاروا من أهل التعليم والإرشاد ويؤيده ما ذكره بعض المحققين من أن الروح جود الله تعالى وفيضه الصادر عنه وإنما كان روحا لأنه كل قبض وراحة وحياة حقيقة...».[٢]

---

(١) بحار الأنوار، ج٢٥،ص٥٦.

(٢) شرح أصول الكافي، الملا صالح المازندراني،ج٦،ص ٧١.

وإذا فسرت الروح بهذا المعنى من أنها قوة من القوى الموجودة عندهم وليست هي بملك فلا يرد أي إشكال مثلا كيف أن الذي يسددهم يكون أقل رتبة منهم.

وحتى لو كانت روح القدس ملكا من الملائكة أو خلقا من خلقه وهم احتاجوا إليه فيمكن فهم ذلك أنهم في هذا العالم يحتاجون إليه، أما إذا نظر إليهم في عوالم أخرى وإلى حقائقهم النورية فهم أفضل من جميع خلقه.

ومن الواضح أن أدعية ذوي النفوس القدسية، والألسنة الناطقة بالمشيئة الإلهية المعبرة عن الله، من الذين يوحي إليهم ربهم، ولا يتكلمون إلا بإذنه، وما ينطقون عن الهوى، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ليست مجرد شفاعة لأي أحد، ومسألة خير من المولى لكل إنسان كائنا من كان، بل فيها إيعاز بأن المدعو له من رجال الدين، وحلفاء الخير والصلاح، ودعاة الأمة إليهما، وممن قيضه المولى للدعوة إليه، والأخذ بناصر الهدى، رغما على أباطيل الحياة وأهوائها الضالة، إلى فضايل لا تحصى على اختلاف المدعوين لهم فيها.

أما في المؤمنين الخلص والموالين الأحرار فتتجلى النفس القدسية بأفعالهم وأقوالهم ويشار بذلك من خلال إشارات وأقوال وأفعال وأدعية الأئمة عليهم السلام، وقل ما دعي لأحد مثل ما دعي للكميت[1] شاعر أهل البيت وهو من أوائل شعراء الإسلام الذين جعلوا من الشعر أداة للتعبير عن آرائهم ومواقفهم، وكان لذلك أثره البعيد في تثقيف جمهور الناس الذين استلهموا من هذه الأشعار روح الثورة وفكرة الإصلاح والتغيير، وقضى شطرا من صباه في مسقط رأسه، حيث تغذى فكره بثورة الإمام الحسين عليه السلام، وقد عرف عنه في مطلع حياته أنه كان يعلم الصبيان في مسجد الكوفة، ثم نبغ في الشعر

(١) الكميت بن زيد الأسدي (٦٠ – ١٢٦ للهجرة).

حتى أضحى من فحول الشعراء في عصره، حيث ارتسمت في قصائده صورة العصر، وانعكست في مرآة أدبه حياة المجتمع من الناحيتين الاجتماعية والسياسية، فتارة دعا له الإمام السجاد زين العابدين عليه السلام بقوله: «**اللهم أحيه سعيدا وأمته شهيدا، وأره الجزاء عاجلا، وأجزل له جزيل المثوبة آجلا**» ودعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتى في مثل أيام التشريق بمنى وغيرها، متوجها إلى الكعبة بالاسترحام والاستغفار له غير مرة، وبقوله: «**لا تزال مؤيدا بروح القدس ما دمت تقول فينا**»[1] تارة أخرى، ومن دعائه عليه السلام له في أيام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزاز القمي في [كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر] عن الورد بن كميت عن أبيه الكميت بن أبي المستهل قال: دخلت على سيدي أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، فقلت: يا بن رسول الله إني قد قلت فيكم أبياتا أ فتأذن لي في إنشادها، فقال: **إنها أيام البيض**، قلت: فهو فيكم خاصة قال: **هات**، فأنشأت أقول:

أضحكني الدهر وأبكاني ... والدهر ذو صرف وألوان
لتسعة بالطف قد غودروا ... صاروا جميعا رهن أكفان

فبكى عليه السلام وبكى أبو عبد الله عليه السلام وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء فلما بلغت إلى قولي:

و ستة لا يتجازى بهم ... بنو عقيل خير فرسان
ثم علي الخير مولاهم ... ذكرهم هيج أحزاني

فبكى ثم قال عليه السلام **ما من رجل ذكرنا أو ذكرنا عنده يخرج من عينيه ماء ولو مثل جناح البعوضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة وجعل ذلك الدمع حجابا بينه وبين النار**، فلما بلغت إلى قولي:-

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ٥٩٨.

من كان مسرورا بما مسكم أو شامتا يوما من الآن
فقد ذللتم بعد عز فما أدفع ضيما حين يغشاني

أخذ بيدي ثم قال: **اللهم اغفر للكميت ما تقدم من ذنبه وما تأخر**، فلما بلغت إلى قولي:

متى يقوم الحق فيكم متى يقوم مهديكم الثاني

قال: **سريعا إن شاء الله سريعا**، ثم قال: **يا أبا المستهل إن قائمنا هو التاسع من ولد الحسين عليه السلام لأن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله اثنا عشر الثاني عشر هو القائم عليه السلام**، قلت: يا سيدي فمن هؤلاء الاثنا عشر؟ قال: **أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام وبعده الحسن والحسين عليهما السلام وبعد الحسين علي بن الحسين عليهما السلام وأنا ثم بعدي هذا**، ووضع يده على كتف جعفر قلت فمن بعد هذا؟ قال: **ابنه موسى وبعد موسى ابنه علي وبعد علي ابنه محمد وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن وهو أبو القائم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطا عدلا كما ملئت ظلما وجورا ويشفي صدور شيعتنا**، قلت: فمتى يخرج يا بن رسول الله قال: **لقد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله** عن ذلك فقال: **إنما مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلا بغتة**.[1]

(١) بحار الأنوار، ج٣٦، ص٣٩٠.

-١٨-

النفس الكلية الإلهية

حديث الاعرابي الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس فقال عليه السلام: «**أي الانفس تسأل؟**

فقال: يا مولاي هل الأنفس عديدة؟

فقال عليه السلام: **نفس نامية نباتية وحسية حيوانية وناطقة قدسية وإلهية كلية ملكوتية.**

ثم إن الاعرابي سأل عن كل من الانفس النامية النباتية، الحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والإلهية الملكوتية الكلية، فكان عليه السلام يجيبه قال : يا مولاي ما النامية النباتية؟ قال عليه السلام: **قوة أصلها الطبايع الاربع، بدو إيجادها عند مسقط النطفة، مقرها الكبد، مادتها من لطائف الاغذية، فعلها النمو والزيادة، سبب افتراقها اختلاف المتولدات ؛ فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت، عود ممازجة لاعود مجاورة.**

فقال: يا مولاي ما النفس الحيوانية؟ قال عليه السلام: **قوة فلكية وحرارة غريزية أصلها الأفلاك. بدو إيجادها عند الولادة الجسمانية، فعلها القوة والحركة والظلم والغلبة واكتساب الشهوات الدنيوية، مقرها القلب. سبب افتراقها اختلاف المتولدات، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها.**

فقال : ما النفس الناطقة القدسية؟ قال عليه السلام: **قوة لاهوتية بدو إيجادها عند الولادة**

الدنيوية، مقرها العلوم الحقيقية، موادها التأييدات العقلية، فعلها المعارف الربانية سبب فراقها تحلل الآلات الجسمانية؛ فإذا فارقت عادت إلى ما منه بدت، عود مجاورة لاعود مجاوزة.. حتى إذا ما سأله عن الإلهية الكلية الملكوتية، أجابه عليه السلام بهذه الكيفية :

فقال: ما النفس الإلهية الملكوتية الكلية؟

فقال عليه السلام: **قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات، أصلها العقل منه بدت وعنه دعت وإلية دلت؛ وعودها إليه إذا أكملت وشابهت ومنها بدت الموجودات وإليها تعود بالكمال. وهي ذات العليا وشجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى ؛ من عرفها لم يشق أبدا ومن جهلها ضل وغوى .**

فقال السائل: ما العقل؟

قال عليه السلام: **جوهر دراك محيط بالاشياء عن جميع جهاتها عارف بالشيء قبل كونه؛ فهو علة للموجودات ونهاية المطالب»**[1].

قال كميل: سألت مولانا أمير المؤمنين عليا عليه السلام فقلت: أريد أن تعرفني بنفسي!

قال: عليه السلام: **يا كميل إنما هي أربعة: النامية النباتية، والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الإلهية.**

ثم يبين أمير المؤمنين عليه السلام كلا من القوى الخمس لهذه النفوس وخاصيتها، حتى وصل إلى النفس الكلية الإلهية فيقول: **والكلية الإلهية ولها خمس قوى: بقاء في فناء، ونعيم في شقاء وعز في ذل، وغنى في فقر، وصبر في بلاء.**

ولها خاصيتان: الرضا والتسليم.

---

(١) شرح دعاء الصباح، للسبزواري قدس سره، ص٤٥ و٤٦.

وهذه التي مبدؤها من الله وإليه تعود؛ قال الله تعالى: ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾، والعقل وسط الكل.[١]

قال الله تعالى: ﴿ **وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي** ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾[٣]، والعقل وسط الكل، لكيلا يقول أحدكم شيئا من الخير والشر إلا بقياس معقول.[٤]

والرواية المذكورة أعلاه مما نقله العلامة المجلسي في البحار عمن رواه من الصوفية في كتبهم.. وعلق على هذه الرواية بما حاصله: أن هذه الاصطلاحات لم تكد توجد في الأخبار المعتبرة المتداولة، وهي شبيهة بأضغاث أحلام الصوفية.... الخ.

قال العلامة الحلي في كتاب معارج الفهم: اختلف الناس في حقيقة النفس ما هي، إلى أن قال: والمشهور مذهبان:

أحدهما أن النفس جوهر مجرد ليس بجسم ولا حال في الجسم، وهو مدبر هذا البدن، وهو قول جمهور الحكماء ومأثور عن شيخنا المفيد وبني نوبخت من أصحابنا.

والثاني: أنها جواهر أصلية في البدن حاصلة فيه من أول العمر إلى آخره لا يتطرق إليها التغير ولا الزيادة ولا النقصان، وعند المعتزلة عبارة عن الهيكل المشاهد المحسوس (انتهى).

ولكن يظهر من التأمل في الحديث المذكور أنه لا إشكال فيه من جهة حمل النفوس

---

(١) شرح دعاء الصباح، للسبزواري، ص٤٥ و٤٦.
(٢) سورة الحجر،الآية ٢٩.
(٣) سورة الفجر، الآيات٢٧ – ٢٩.
(٤) مستدرك نهج البلاغة، ص ١٥٩.

الأربعة على قوى البدن وأجهزته، فتحمل النامية النباتية على الجهاز الهظمي مثلاً، والحيوانية الحسية على الحواس الخمس وأجهزة الحركة والناطقة القدسية على الدماغ والعقل الحال فيه، أما الكلية الإلهية فالظاهر أنها تحمل على روح الإيمان التي يؤيد الله بها تعالى خاصة عباده المؤمنين من أهل الإخلاص فيصير المؤمن بها ناظراً بنور الله[١].

ومركز النفس الأخيرة ﴿ **الْمُطْمَئِنَّةُ** ﴾ في القلب، لقوله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾[٢]، وفي هذه النفس تحصل الفيوضات الإلهية والإلهامات العلوية، ومنها العلم اللدني الذي يعلمه الإنسان بدون معلم، أي لا يأتي عن طريق العقل والحواس، بل ينزل من عند الله مباشرة على القلب، فيعيه ويشرق به ولا يعود ينساه.

ومثل ذلك ما كان يحدث للنبيﷺعندما كان ينزل الوحي على قلبه، يقول تعالى: ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾[٣].

أي إن قوام هذه النفوس بالعقل؛ يرتبط به وجودها كما ترتبط الدائرة بمحورها الذي تدور عليه.

وإن النفس الكلية الإلهية وإن كانت طليعة وجودها من مادة صافية في كمال النقاوة إلا أن هذه النفس لكمال روحانيتها وعلو شأنها قريبة الأفق بعالم المجردات وقطان عالم الجبروت، فهي ملحقة بالآباء العلوية والجهات الفاعلية، لا الامهات السفلية والحيثيات القابلية.

فالظاهر أنها تحمل على روح الإيمان التي يؤيد الله بها تعالى خاصة عباده المؤمنين من

---

(١) مركزالابحاث العقائدية

(٢) سورة النحل،الآية ١٠٦.

(٣) سورة الشعراء،الآيتان ١٩٣، ١٩٤.

أهل الإخلاص فيصير المؤمن بها ناظرا بنور الله.

ثم اعلم أن مثل النفس الكلية كجنس الأجناس، والأنفس البسيطة كالأنواع لها، والأنفس التي دونها كنوع الأنواع، والأنفس الجزئية كالأشخاص؛ مرتبة بعضها تحت بعض كترتيب العدد.

فالنفس الكلية كالواحد، والنفس البسيطة كالآحاد، والنفس الجنسية كالعشرات، والنفس النوعية كالمئات، والأنفس الجزئية الشخصية كالألوف؛ وهي التي تختص بتدبير جزئيات الأجسام والأنفس النوعية مؤيدة لها، والنفس الجنسية مؤيدة للنوعية، والنفوس البسيطة مؤيدة للجنسية.

فالنفس الكلية التي هي نفس العالم مؤيدة للنفوس البسيطة، والعقل الكلي مؤيد للنفس الكلية، والباري — جل ثناؤه — مؤيد للعقل الكلي؛ فهو مبدعها كلها ومدبر لها من غير ممازجة لها ولا مباشرة، فتبارك الله أحسن الخالقين.

-١٩-

كرم النفس

السلوك الإنساني، يعني سيرة الإنسان، مذهبه، إتجاهه، تفكيره، ومجمل تصرفاته وأفعاله التي يتجه بها إلى وجهة معينة، معبرة عن شتى جوانب طبعه الأخلاقي، منحصرة في جانبين أساسيين. جانب خير، حسن، إيجابي، وجانب شر، سيء، سلبي. ففي نهج البلاغة، نجد الإمام عليا يدعو بقوة إلى ممارسة الجانب الأول، جانب الفضيلة والسلوك العادل، باتباع الحق والصواب والاستقامة، والنزاهة والإخلاص، رافضا في الوقت ذاته الجانب الثاني، جانب الرذيلة، جانب الخداع والمكر والكذب والغش والسرقة والمصانعة والمداهنة والنفاق والرياء، ونكث العهد

ومن المعروف أن صفات الإنسان وتصرفاته الأخلاقية، ليست جميعها بالقضايا التي تولد معه، وإنما هي أشياء يكتسبها مع مرور الزمن، بخاصة في المراحل الأولى للنضوج العقلي للطفل. لذلك يركز الإمام على هذه المراحل التي تتقبل الخير والشر، قبل أن يشب هذا الطفل ويقسو قلبه، إذ يقول عليه السلام في وصيته لولده الحسن عليه السلام بعد عودته من صفين: «**وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية - ما ألقي فيها من شيء قبلته - فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك - ويشتغل لبك لتستقبل بجد رأيك من الأمر**»[1]، وعلى هذا الأساس، يتعلم الإنسان أن هناك أشياء مباحة يمكن عملها، وأخرى محضورة عليه الامتناع عنها، ومن ثم يحدد ما هو صحيح، وما هو خطأ، وما هو حق

(١) الخطبة ٣١ من خطب نهج البلاغة.

وما هو باطل، وما هو الواجب تجاه الآخرين، وتجاه نفسه،

ومن أهم هذه الأشياء مكارم الأخلاق وقد أشارت إليها روايات كثيرة منها:-

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى خص رسول الله صلى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق، فامتحنوا أنفسكم؛ فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا إليه في الزيادة منها**»(١).

ومن أهم مكارم الأخلاق الكرم وقد أشارت إليه روايات كثيرة منها:-

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «كان إذا وصف رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **كان أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفاهم ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ومن رآه بديهة هابه ومن خالطه فعرفه أحبه لم أر مثله قبله ولا بعده**»(٢).

والكرم من أشرف السجايا، وأعز المواهب، وأخلد المآثر، وناهيك في فضله أن كل نفيس جليل يوصف بالكرم، ويعزى إليه، قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ** ﴾(٣)، ﴿ **وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ** ﴾(٤)، ﴿ **وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ** ﴾(٥)، فهوموجود في القرآن الكريم، وعند الرسول صلى الله عليه وآله، وفي الزرع المتعدد في طعمه وشكله...

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أي الناس أفضلهم إيمانا، قال: أبسطهم كفا**»(٦).

---

(١) أمالي الصدوق، ص١٨٤، ح٨.
(٢) سفينة البحار، ج ٢، ص ٦٨٨.
(٣) سورة الواقعة، الآية ٧٧.
(٤) سورة الدخان، الآية ١٧.
(٥) سورة الدخان، الآية٢٦.
(٦) الوافي عن الكافي، ج ٦، ص ٦٧.

دعت الشريعة الإسلامية الى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يدعهم يتضورون سغبا وحرمانا، دون أن يتحسس بمشاعرهم، وينبري لنجدتهم وإغاثتهم، واعتبرت الموسرين القادرين والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، فقد ورد بهذا الخصوص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»**[١].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: **قال صلى الله عليه وآله: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع قال وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة»**[٢].

وإنما حرض الإسلام أتباعه على الأريحية والسخاء، ليكونوا مثلا عاليا في تعاطفهم ومواساتهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي؛ لأن الكرم صمام أمن المجتمع، وضمان صفائه وازدهاره.

فأسمى فضائل الكرم، وأشرف بواعثه ومجالاته، ما كان استجابة لأمر الله تعالى، وتنفيذا لشرعه المطاع، وفرائضه المقدسة، كالزكاة، والخمس، ونحوهما.

وهذا هو مقياس الكرم والسخاء في عرف الشريعة الإسلامية، كما قال النبي صلى الله عليه وآله: **«من أدى ما افترض الله عليه فهو أسخى الناس»**[٣].

وكما قال الإمام علي عليه السلام: **«النفس الكريمة لا تؤثر فيها النكبات»**[٤]، وأفضل مصاديق البر والسخاء بعد ذلك، وأجدرها - عيال الرجل وأهل بيته، فإنهم فضلا عن وجوب الإنفاق عليهم، وضرورته شرعا وعرفا، أولى بالمعروف والإحسان، وأحق

(١) الوافي عن الكافي، ج ٦، ص ٦٨.
(٢) الكافي، ج٢، ص٦٦٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه ج٢ ص٦٢.
(٤) غرر الحكم،ح١٥٥٥.

بالرعاية واللطف.

وقد يشذ بعض الأفراد عن هذا المبدأ الطبيعي الأصيل، فيغدقون نوالهم وسخاءهم على الأباعد والغرباء، طلبا للسمعة والمباهاة، ويتصفون بالشح والتقتير على أهلهم وعوائلهم، مما يجعلهم في ضنك واحتياج مريرين، وهم ألصق الناس بهم وأحناهم عليهم، وذلك من لؤم النفس، وغباء الوعي، ولهذا السبب قام الأئمة بالتأكيد على موضوع التوسعة على العيال في أحاديثهم، حيث ورد عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «**ينبغي للرجل أن يوسع على عياله لئلا يتمنوا موته**، وتلا هذه الآية ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾ **الأسير عيال الرجل، ينبغي للرجل إذا زيد في النعمة أن يزيد أسراءه في السعة عليهم**». ثم قال: «**إن فلانا أنعم الله عليه بنعمة فمنعها أسراءه وجعلها عند فلان، فذهب الله بها**». قال معمر: وكان فلان حاضرا»[1]، والأرحام بعد هذا وذاك، أحق الناس بالبر، وأحراهم بالصلة والنوال، لأواصرهم الرحمية، وتساندهم في الشدائد والأزمات.

وهكذا يجدر بالكريم، تقديم الأقرب الأفضل، من مستحقي الصلة والنوال: كالأصدقاء والجيران، وذوي الفضل والصلاح، فإنهم أولى بالعطف من غيرهم.

والجدير بالذكر أن الكرم لا يجمل وقعه، ولا تحلو ثماره، الا إذا تنزه عن المن، وصفي من شوائب التسويف والمطل، وخلا من مظاهر التضخيم والتنويه، كما قال الصادق عليه السلام: «**رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال بتصغيره وستره وتعجيله فإنك إذا صغرته عظمته عند من تصنعه إليه وإذا سترته تممته وإذا عجلته هنأته وإذا كان غير ذلك محقته ونكدته**»[2].

(١) الكافي، ج٤، ص١١.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص٥٧.

وأعظم منه ما قاله أمير المؤمنين لابنه الحسن عليهما السلام: «**لا تخلفن وراءك شيئا من الدنيا فإنك تخلفه لأحد رجلين إما رجل عمل فيه بطاعة الله فسعد بما شقيت به وإما رجل عمل فيه بمعصية الله فشقي بما جمعت له فكنت عونا له على معصيته وليس أحد هذين حقيقا أن تؤثره على نفسك قال الرضي: ويروى هذا الكلام على وجه آخر وهو: أما بعد فإن الذي في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك وهو صائر إلى أهل بعدك وإنما أنت جامع لأحد رجلين رجل عمل فيما جمعته بطاعة الله فسعد بما شقيت به أو رجل عمل فيه بمعصية الله فشقيت بما جمعت له وليس أحد هذين أهلا أن تؤثره على نفسك ولا أن تحمل له على ظهرك فارج لمن مضى رحمة الله ولمن بقي رزق الله**»[1].

هذا وعرف الإمام الحسن المجتبى عليه السلام بكريم أهل البيت، فهو الذي قاسم الله أمواله ثلاث مرات، نصف يدفعه في سبيل الله ونصف يبقيه له، بل وصل إلى أبعد من ذلك، فقد أخرج ماله كله مرتين في سبيل الله ولا يبقي لنفسه شيئا، فهو كجده رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، وهو سليل الأسرة التي قال فيها ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[2]، ما رواه أبو الحسن المدائني قال: «خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر عليهم السلام حجاجا ففاتهم أثقالهم فجاعوا وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فأناخوا بها وليس لها إلا شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك وقالوا لها هل من طعام قالت لا إلا هذه الشاة فليذبحنها أحدكم حتى أهيئ لكم شيئا تأكلون فقام إليها أحدهم فذبحها وكشطها ثم هيأت لهم طعاما فأكلوا ثم أقاموا حتى أبردوا، فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من

(١) نهج البلاغة، ج١، ص٥٤٩.
(٢) سورة الحشر، الآية ٩.

قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون إليك خيرا ثم ارتحلوا وأقبل زوجها وأخبرته عن القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويحك تذبحين شاتي لأقوام لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد مدة ألجأتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعير إليها ويبيعانه ويعيشان منه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فإذا الحسن عليه السلام على باب داره جالس فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث غلامه فردها فقال: **لها يا أمة الله تعرفيني**، قالت: لا، قال: **أنا ضيفك يوم كذا**، فقالت العجوز: بأبي أنت وأمي، فأمر الحسن عليه السلام فاشترى لها من شاء الصدقة ألف شاة وأمر لها بألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين عليه السلام فقال: **بكم وصلك أخي الحسن**، فقالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر عليه السلام، فقال: بكم وصلك الحسن والحسين عليهما السلام فقالت: بألفي دينار وألفي شاة، فأمر لها عبد الله بألفي شاة وألفي دينار وقال: لو بدأت بي لأتعبتها فرجعت العجوز إلى زوجها بذلك»[1].

(١) كشف الغمة، ج ١، ص٥٥٩.

-٢٠-

إباء النفس

إباء (مصدر أبى).:-هو معروف بإبائه:-: معروف بعزة نفسه وأنفته وكبريائه.:- نظرة جامدة تنطق إباء.

الفرق بين الإباء والامتناع: الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع: وليس كل امتناع إباء، قاله الراغب.قلت: ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ...**وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ**... ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ ...**إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾[2]، فإن المراد: شدة الامتناع في المقامين.

والإباء هو من شيم الأحرار وشمائل الكرام ومن إمارات المجد ودلائل النجابة وعزة النفس وأحد نتائج الشجاعة التي هي إحدى فضائل النفس واصولها الأربعة، فإن النفس العزيزة يحدث لها امتناع عن قبول الضيم والرضوخ لذل الاستعباد فمتى ما سميت ضيما أو اريد بها هوانا نفرت نفرة المهرة العربية عند صلصة اللجام، ومثلت هذه النفس الحرة والروح الكريمة الموتتين اللتين ستلاقيهما لا محالة ولا بد لها من أحدهما الموتة الحميدة على حدود السيوف المسلولة والموتة الذميمة على فراش الذلة والهوان، فتختار أحد الموتتين.

وليس لأمة من الأمم ولا لشعب من الشعوب ما للعرب في سبيل الإباء، وليس

(١) سورة التوبة، الآية ٩.

(٢) سورة البقرة، الآية ٣٤.

بنفوس سائر الأمم ما بنفوس العرب من الأنفة عن ذل الاهتضام، فقد يضحي العربي العريق في السؤدد الصميم في المحتد نفسه النفيسة ويلقح حربا شعواء مهولة كثيرة الأخطاء ذات تهاويل وشدائد في قبال كلمة لا تحتملها النفس العربية لما فيها من الوصمة لشرفه والاهتضام لمجده عند نفسه أو على ناقة تؤخذ منه قهرا أو تطرد عن المرعى وما شاكل ذلك، كما هو سبب أكثر حروب الجاهلية.

أما الإباء المحبوب لكل نفس حرة في كل دور من أدوار حياة البشر وهو الذي أكدته الشرائع السماوية والكتب المقدسة وندبت إليه الأسفار المنزلة من عند الله تعالى فهو الإباء الذي يكون في سبيل دفع الاستعباد الجائر ومقاومة الاستعمار الجبار، ذاك هو الإباء الحر وهو مر المذاق كريه الطعم إلا في فم من استعذبه على مجاجة مذاقه ومرارة طعمه ولا نعلم مؤسسا لهذا الإباء غير الحسين بن علي عليه السلام واقتفى أثره أهل بيته الأحرار الأماجد أباة الضيم وحماة الأنوف فاقتدى به وبهم سائر من عاف الذل وترفع عن الرضوخ للهوان، ولذلك يقول قائلهم وقد صمم على الموت مستدفعا به ضيم الحياة ومؤثرا عز المنية على ذل العيشة الدنية:

وكما هو معروف أن العرب فإنهم يرون تضحية النفس في سبيل حفظ الشرف وعدم الأنقياد للسلطة الجائرة الجبارة متجاوزا حد الشجاعة ويسمون الاتصاف بها إباء وأنفة وحمية فيقولون للمتصف بها: حمي الأنف وأبي الضيم، ويقولون: فلان غيور فخور أنف، وفلان ذو أنفة كل هذه الألفاظ تطلق على من تجاوز وصف الشجاعة إلى وصف أرقى منها وأنبل وكانت هذه الصفات من مميزات بني هاشم وشعار الحماة من آل عبد المطلب لذلك يقول راثي الحسين عليه السلام:

والصفة البارزة من نزعات الإمام الحسين عليه السلام هي الإباء عن الضيم، حتى لقب عليه السلام

بـ(أبي الضيم).

وهي من أعظم ألقابه عليه السلام ذيوعا وانتشارا بين الناس، فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة.

فهو الذي رفع شعار الكرامة الإنسانية، ورسم طريق الشرف والعزة، فلم يخنع، ولم يخضع لقرود بني أمية، فآثر عليه السلام الموت تحت ظلال الأسنة.

فيقول الشاعر عبد العزيز بن نباتة السعدي:

والحسين الذي رأى الموت في العز حياة والعيش في الذل قتلا

فقد علم أبو الأحرار عليه السلام الناس نبل الإباء ونبل التضحية، ويقول فيه مصعب بن الزبير: واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة.

وقد كانت كلماته عليه السلام يوم الطف من أروع ما أثر من الكلام العربي، في تصوير العزة، والمنعة، والاعتداد بالنفس، فكان يقول عليه السلام: ألا وإن الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.

ووقف عليه السلام يوم الطف كالجبل الصامد، غير حافل بتلك الوحوش الكاسرة من جيوش الردة الأموية.

وقد ألقى عليهم وعلى الأجيال أروع الدروس عن الكرامة وعزة النفس وشرف الإباء قائلا عليه السلام: «**والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد...**».

وألقت هذه الكلمات المشرقة الأضواء على مدى ما يحمله الإمام العظيم من

الكرامة التي لا حد لأبعادها، والتي هي من أروع ما حفل به تاريخ الإسلام من صور البطولات الخالدة في جميع الأحقاب.

وقد تسابق شعراء أهل البيت عليهم السلام إلى تصوير هذه الظاهرة الكريمة، فكان ما نظموه في ذلك من أثمن ما دونته مصادر الأدب العربي.

وقد عنى شاعر أهل البيت عليهم السلام السيد حيدر الحلي إلى تصوير ذلك في كثير من روائعه الخالدة، التي رثى بها جده الإمام الحسين عليه السلام، فيقول:

طمعت أن تسومه القوم ضيما ... وأبى الله والحسام الصنيع
كيف يلوي على الدنية جيدا ... لسوى الله ما لواه الخضوع
ولديه جأش أرد من الدرع ... لظمأى القنا وهن شروع
وبه يرجع الحفاظ لصدر ... ضاقت الأرض وهي فيه تضيع
فأبى أن يعيش إلا عزيزا ... أو تجلى الكفاح وهو صريع

ولم تصور منعة النفس وإباؤها بمثل هذا التصوير الرائع، فقد عرض السيد حيدر إلى ما صممت عليه الدولة الأموية من إرغام الإمام الحسين عليه السلام على الذل والهوان، وإخضاعه لجورهم واستبدادهم.

ولكن يأبى الله له عليه السلام ذلك، وتأبى له نفسه العظيمة التي ورثت عز النبوة أن يقر على الضيم، فإنه عليه السلام لم يلو جيده خاضعا لأي أحد إلا لله عز وجل، فكيف يخضع لأقزام بني أمية، وكيف يلويه سلطانهم عن عزمه الجبار الذي هو أرد من الدرع للقنا الظامئة.

ونص السيد ابن طاووس قدس سره: «وأقبل شمر بن ذي الجوشن لعنه الله فنادى أين بنو أختي عبد الله وجعفر والعباس وعثمان فقال الحسين عليه السلام **أجيبوه وإن كان فاسقا فإنه بعض أخوالكم** فقالوا له ما شأنك فقال يا بني أختي أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع

أخيكم الحسين عليه السلام والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد قال فناداه العباس بن علي عليه السلام تبت يداك ولعن ما جئت به من أمانك يا عدو الله أ تأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة عليها السلام وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء قال فرجع الشمر لعنه الله إلى عسكره مغضبا»[1].

ذكر ابن نما في مثير الأحزان(ص٣١). وهذا أمر مشهور عند أرباب المقاتل فلا يتطرقه شك ولا يطرأ عليه ارتياب وهذا هو الإباء الحر وهذه هي الحمية الخالصة والأنفة العربية المحضة فإن عد ابن المهلب وابن الزبير من الأباة الآنفين من المذلة وقد بذل لهما الأمان مرة واحدة وقد تكرر بذل الأمان للعباس عليه السلام وإخوته فكان أربع مرات مرتان له بالاشتراك مع أخيه الحسين عليه السلام في أمان عمرو بن سعيد وأمان عبيد الله بن زياد للحسين عليه السلام وأصحابه وقد رفض أبو عبد الله الحسين عليه السلام الاثنين وأبو الفضل عليه السلام معه، ومرتان كانتا له خاصة كما سمعت فرفضهما أيضا أبو الفضل عليه السلام وقد أحسن مؤبنه بقوله:

أبا الفضل يا من أسس الفضل والإبا ... أبى الفضل إلا أن تكون له أبا
تطلبت أسباب العلى فبلغتها ... وما كل ساع بالغ ما تطلبا
ودون احتمال الضيم عز ومنعة ... تخيرت أطراف الأسنة مركبا
لقد خضت تيار المنايا بموقف ... تخال به برق الأسنة خلبا
وقفت بمستن النزال ولم تجد ... سوى الموت في الهيجا من الضيم مهربا
إلى أن وردت الموت والموت عادة ... لكم عرفت تحت الأسنة والضبا
ولا عيب في الحر الكريم إذا قضى ... وقلبا على حر الضما متقلبا

(١) اللهوف، ج١، ص٨٥.

-٢١-

عزة النفس

العزة: القوة والغلبة، الحمية والأنفة، ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ**... ﴾[١].

له العزة:-: الغلبة، القوة. ﴿ **وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾[٢].

قوة وغلبة، عظمة، حالة مانعة الإنسان من أن يغلب:- ﴿ ...**وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ** ﴾[٣].

العزيز: من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى؛ ومعناه الغالب الذي لا يقهر ولا ينال منه:- ﴿ **إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾،، وقال الزجاج: الممتنع فلا يغلبه شيء، وقال غيره: هو القوي الغالب كل شيء، وقيل: هو الذي ليس كمثله شيء.

قال تعالى: ﴿ ...**وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ** ﴾[٤]، أي غلبني، وقيل: معناه صار أعز منى في المخاطبة والمخاصمة.

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٦.

(٢) سورة المنافقون،الآية ٨.

(٣) سورة الشعراء،الآية ٤٤.

(٤) سورة ص، الآية ٣٤.

﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾[١]، أي يصعب مناله ووجود مثله.[٢]

*إن العزة حالة ذات بعدين، بعد قائم في أعماق النفس والقلب والفكر، وبعد آخر قائم في الخارج، وله واقعه الخاص به.

فالعزة الباطنية (النفسية) هي إحساس الإنسان برفعة شخصيته، وأن يكون في نفسه محترما لنفسه، أما حينما يحس بالهوان والضعة والصغار ولا يكن لنفسه الاحترام، فمثل هذا لن تنفعه العزة الظاهرية، ويكون كما لو كان قذرا بدنه نظيفة ثيابه، وما نفع نظافة الثياب مع قذارة البدن؟

أما كيف يعيش المرء العزة النفسية الحقيقية؟

إنه يعيشها حينما يعرف نفسه، ولن يعرف الإنسان نفسه حتى يعرف ربه؛ أي حينما يعرف أنه مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى ليكرمه ويعزه، وأنه لا شيء في هذه الحياة بمقدوره إهانته ما دام متصلا برب العزة والملكوت؛ ملكوت السماوات والأرض..

أما البعد الآخر للعزة؛ أي العزة الظاهرية، فهي كون الإنسان غير محتاج إلى الآخرين، لاسيما الأشرار والدنيئين منهم، فقد جاء في المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «**استغن عمن شئت تكن نظيره**»[٣]، كما أنه عليه السلام سمع أحد المؤمنين يدعو ربه بألا يجعله محتاجا لأحد من الناس، فنصحه أمير المؤمنين أن يستثني منهم الأخيار المؤمنين..

نعم، إن العزة الظاهرية هي ألا يتكبر الإنسان على أحد، وألا يقبل أن يتكبر عليه أحد، فلا تسمح لنفسك بقبول الهوان من أحد، لاسيما المجرمين ـ وهم كثيرون ـ الذين

---

(١) سورة فصلت، الآية ٤١.

(٢) مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص ٣٣٣.

(٣) الخصال، ج ٢، ص ٤٥.

يحاولون وضعك في قفص الاتهام، أو ملاحقتك بالسب وتوجيه تافه القول.. لا تسمح لأحد أن يذلك أبدا، ولعلك قد سمعت ما عن أبي بصيرعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الله فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه**»(١).

اذن؛ فالعزة النفسية (الباطنية) هي معرفة قيمة النفس، أما ظاهر العزة هي أن تحترم نفسك وأن لا تقبل الهوان لها.. ومن هنا قال ربنا سبحانه: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا...** ﴾، ثم يعطف بالقول الكريم: ﴿ **... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...** ﴾(٢)، فالكلمة الطيبة والعمل الصالح كأنهما جناحان يسمو بهما المؤمن ويحلق إلى ما شاء من العزة الإلهية المطلقة

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الصبر على الفقر مع العز أجمل من الغنى مع الذل**»(٣).

قال الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام: «**عز المؤمن غناه عن الناس**»(٤).

يقول الراغب الأصفهاني في مفرداته، قال تعالى: ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ** ﴾(٥)، ووجه ذلك أن العزة التي لله ولرسوله وللمؤمنين هي الدائمة الباقية التي هي العزة الحقيقية، والعزة التي هي للكافرين هي التعزز وهي في الحقيقة ذل كما في الحديث عن نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله: «**كل عز ليس بالله فهو ذل**»، وعلى هذا قوله:

﴿ **وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا** ﴾(٦)، أي ليتمنعوا به من العذاب،

---

(١) الكافي ج٥ ص٦٣.
(٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٦٢.
(٤) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ١٣٧.
(٥) سورة ص، الآية ٢.
(٦) سورة مريم، الآية٨١.

وقوله: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**... ﴾[١]، معناه من كان يريد أن يعز فهو يحتاج أن يكتسب منه تعالى العزة فإنها له.[٢]

ولكن الإسلام أعز المسلم، لقد أنقذ الإسلام كثيرا من المسلمين، الذين كانوا ينتمون إلى عوائل وضيعة، بمنعه من ذم بعضهم بعضا، وهكذا نجد أن هؤلاء يتواصلون مع الناس، ويعاشرونهم دون شعور بالخجل والانحطاط، وإذا كان أحد من المسلمين يوجه الذم نحوهم، فإن الرسول الأعظم ﷺ كان يمنعه من ذلك بصراحة.

وكلنا يعلم ما كان يقوم به أبو جهل في صدر الإسلام، من معارضة النبي ﷺ في نشر دعوته، وقد اشتهر بسبب ما أضمر، وفظاعة الجرائم التي قام بها، بالخيانة والدنس بين المسلمين.

وقد حضر ابنه عكرمة بعد موت أبيه، بين يدي النبي ﷺ واعتنق الإسلام، فقبل النبي إسلامه، واحتضنه وأثنى عليه، لكن لما كان عكرمة ينتمي إلى أسرة أصرت على الكفر، واشتهرت بسوء السمعة بين المسلمين، فإن ذلك كان داعيا إلى احتقاره من قبل المسلمين، وفي رواية أن المسلمين كانوا يقولون: هذا ابن عدو الله أبي جهل؛ فشكا ذلك إلى النبي ﷺ فمنعهم من ذلك، ثم استعمله على صدقات هوازن.

فالعزة في اللغة العربية القدرة والسلطان غير القابل للتصدع والتدهور، وقد جعل القرآن الكريم العزة من الأمور التي يختص بها الله تعالى، كما في الآية العاشرة من سورة فاطر حيث يقول تعالى: ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ**

(١) سورة فاطر، الآية: ١٠.

(٢) مفردات غريب القرآن، ص ٣٣٣.

يَبُورُ﴾. فأولياء الله وأحباؤه يقتبسون نورا من نور الله فيأخذون عزا من عزته، ولهذا فإن روايات إسلامية عديدة حذرت المؤمنين من التنازل عن عزتهم ونهتهم عن تهيئة أسباب الذلة في أنفسهم، ودعتهم بإلحاح إلى الحفاظ على هذه العزة. فقد ورد في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين. قال عليه السلام: «**المؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا**» ثم قال: «**إن المؤمن أعز من الجبل إن الجبل يستقل منه بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه بشيء**»[١]،وفي حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام جاء فيه: «**إن الله تبارك وتعالى فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يذل نفسه ألم تر قول الله سبحانه وتعالى هاهنا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ والمؤمن ينبغي أن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا**»[٢].

عن مفضل بن عمر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه. قلت: بما يذل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه**»[٣].

---

(١) بحار الأنوار، ج٩٧،ص٩٢.

(٢) تفسير نور الثقلين ج٥ ص٣٣٦. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ١٨، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ص ٣٦٧.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٦٤.

القسم الثاني

الإنسان السوي

-١-

إنسان الخير

الإنسان الذي هو محط اهتمام الخالق عز وجل في كل نواحي وسبل الوجود وعوالمه من عالم النور وبداية الخلق المتمثل بخلق نور محمد وآل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، عن أبي سلمى عن رسول الله ﷺ في حديث قدسي: (يا محمد إني خلقتك وخلقت عليا وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولد الحسين من شبح نور من نوري)[١].

هذه الرواية وروايات أخرى تنص على أنهم كانوا أنوارا وأرواحا وأبدانا، يسمعون ويعقلون، فالروايات منها ما يقول ان الله تكلم بكلمة فصارت نورا فخلق منها النبي الأعظم، ثم خلق من نوره عليا، ثم من نورهما فاطمة ثم الحسن والحسين وهكذا.

وبعض الروايات تنص على أن النبي ﷺ وعليا من نور واحد، وهي كثيرة.

وفي بعض الروايات أن أصحاب الكساء من نور واحد وشجرة وطينة واحدة.

وفي بعضها أن جميع الأئمة من نور واحد.

والقدر المتيقن من الروايات أن الله عز وجل خلقهم من نور عظمته، أو من نور كلمته الصادرة منه، والخلاف في أن الصادر الأول والنور الأول هل هو النبي ﷺ وحده أم هو وعلي وفاطمة والأئمة؟

والذي يتناسب مع قاعدة أن الواحد لا يصدر منه إلا واحد هو خلق نور النبي ﷺ

(١) بحار الأنوار، ج ٢٧، ص، ٢٠٠.

أولا، ثم منه شعت الأنوار، الى عالم الآخرة والنور الأبدي، هذا الإنسان الذي أراده الله لكي يُعرف عز وجل، لقوله تعالى في الكتاب المجيد: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾[١]، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «**خرج الحسين عليه السلام يوما إلى أصحابه فقال: أيها الناس! إن الله جل ذكره ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة ما سواه**»[٢].

كان الله عز وجل مخفيا عن المعرفة لعدم وجود عارف، لا أنه في ذاته مخفي. فلما أوجد الخلق وفيهم من شأنه أن يعرف كالإنس والملائكة والجن وغيرهم اصبح معروفا بما عرف لهم نفسه، ومع ذلك فمعرفته سبحانه درجات لا يحصيها إلا الله، ومنه يتبين أن المعرفة تتناسب طرديا مع الكمال، فكلما كان المخلوق أكمل في سلم الرقي الوجودي يكون أكثر معرفة بالله تعالى من الذين هم دونه درجة.

فلابد من أن ينتبه هذا الإنسان ويترجم الإهتمام الإلهي إلى أفعال وأعمال تشير إلى أنه عرف مقصود الخالق فيكرس حياته لغرض بيان وتوضيح هذا المقصود ومن هذه الأعمال والأفعال موضوع الخير:-

قيل والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوبا فيه بكل حال وعند كل أحد كما وصف أمير المؤمنين عليه السلام به الجنة فقال: «**ما خير بخير بعده النار وما شر بشر بعده الجنة وكل نعيم دون الجنة فهو محقور وكل بلاء دون النار عافية**»[٣].

وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد شرا لآخر كالمال الذي ربما يكون

(١) سورة الذاريات، الآيات ٥٦-٥٨.
(٢) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ص٨٠.
(٣) نهج البلاغة ج١ ص٥٤٤.

خيرا لزيد وشرا لعمر، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضع: ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ** ﴾[١]، وقال في موضع آخر: ﴿ **فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ۞ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ۞ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ** ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ **إِنْ تَرَكَ خَيْرًا** ﴾، أي إن ترك مالا.

والخير والشر يقالان على وجهين، أحدهما: أن يكونا اسمين كما تقدم وهو قوله: ﴿ **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[٣].

والثاني: أن يكونا وصفين وتقديرهما تقدير (أفعل منه) نحو هذا خير من ذاك وأفضل وقوله: ﴿ **مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٤]، ﴿ **نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا** ﴾ وقوله: ﴿ .... **وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾[٥]، فخير هنا يصح أن يكون اسما وأن يكون بمعنى أفعل ومنه قوله: ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾[٦]، تقديره تقدير أفعل منه.

فالخير يقابل به الشر مرة والضر مرة نحو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٧]، وقوله: ﴿ **فِيهِنَّ**

(١) سورة البقرة، الآية ١٨٠.
(٢) سورة المؤمنون، الآيات ٥٤- ٥٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية ١٠٤.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٠٦
(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٤.
(٦) سورة البقرة، الآية ١٩٧.
(٧) سورة الأنعام، الآية ١٧.

﴿ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴾[١]، قيل أصله خيرات فخفف، فالخيرات من النساء الخيرات، يقال رجل خير وامرأة خيرة وهذا خير الرجال وهذه خيرة النساء، والمراد بذلك المختارات أي فيهن مختارات لا رذل فيهن.[٢]

كلمة (الخير) لها معنى واسع يشمل كل نعمة، كثير من النعم مثل العلم والمعرفة والتقوى والجنة والسعادة ليست مذمومة، ولا ينكر عليها القرآن فقال:

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾[٣]، أي إنه شديد الحب للمال والمتاع، فسر الخير في الآية بأنه (المال)، دل على ذلك قرينة المقام والآية السابقة، وآيات أخرى كقوله سبحانه: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[٤]، ﴿خَيْرًا﴾ تدل في هذه الآية على المال وهو في حد ذاته شيء حسن، ويستطيع أن يكون وسيلة لأنواع الخيرات، لكن الإنسان الكنود يصرفه عن هدفه الأصلي، وينفقه في طريق ذاتياته وأهوائه.[٥]

وعليه فإنسان الخير هو الكريم العطوف الذي ينفع الآخرين، يخاف الله عز وجل ولا يلتجئ الى الأعمال التي تغضب الله، غير المتعلق قلبه بالدنيا وزينتها، لا يؤذي جيرانه بل يحترمهم ويواسي الآخرين، بطيء الغضب سريع الرضا، كما قال رسول الله ﷺ: «**خيركم من دعاكم إلى فعل الخير خيركم**».[٦]

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٧٠.
(٢) المفردات في غريب القران، كتاب الخاء، الراغب الأصفهاني.
(٣) سورة العاديات، الآية ٨.
(٤) سورة البقرة، الآية ١٨٠.
(٥) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٣٩٩.
(٦) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام)، ج٢، ص١١٩.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الخير، فقال: «**ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك وعملك وأن يعظم حلمك وأن تباهي الناس بعبادة ربك فإن أحسنت حمدت الله وإن أسأت استغفرت الله ولا خير في الدنيا إلا لرجلين رجل أذنب ذنبا فهو يتداركها بالتوبة ورجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يتقبل**»[١].

قال الصادق عليه السلام: «**وإن خير العباد من يجتمع فيه خمس خصال إذا أحسن استبشر وإذا أساء استغفر وإذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر وإذا ظلم غفر**».[٢]

(١) بحار الأنوار ج٦٦ ص٤٠٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥،ص٢٠٦.

-٢-

الإنسان والصراط المستقيم

إن الصراط لا يكون صراطا إلا بمرور المارة عليه، وإن الخلائق كلها متوجهة شطر الحق توجها غريزيا ويتحرك جبلية نحو مسبب الأسباب، وفي هذه الحركة الجبلية لا يتصور في حقهم الضلال والانحراف عما عين الله لكل منهم، والله آخذ بناصيتهم كما قال الله تعالى: ﴿ **مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[١].

فكل دابة أخذ الله عز وجل بناصيتها وعليه رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[٢]، فتكون مفطورة على المشي على نهج الإستقامة من غير ضلال.

وأما مسمى الإنسان فسنخ وجود متحرك لا ساكن، والحركة من خصائصها فيها مبدأ وفيها منتهى كما وصفه القرآن المجيد: ﴿ **يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ** ﴾[٣].

أي مسافر، أي لابد من وجود مبدأ ومنتهى، فلابد من هذا السفر من صراط يبدأ به حركته وينتهي به، فالصراط المادي يبدأ بنطفة ثم علقة ثم أنشأهن خلقا آخر لقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۞ ثُمَّ**

(١) سورة هود، الآية: ٥٦.

(٢) سورة هود، الآية: ٦.

(٣) سورة الانشقاق، الآية: ٦.

خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[1]، من صبي ثم مميز ثم بالغ مكلف ثم هرم ثم أرذل العمر وهكذا إلى منتهاه الموت ثم الحشر ثم البعث، وهذا هو السفر المادي.

وأما سفره المعنوي وهو إلى الله تعالى يصل به كما وصل رسولنا الأعظم إلى قاب قوسين أو أدنى، ثم درجات درجات، وهذا السفر يحتاج إلى صراط، فالمؤمن يسلك هذا الصراط فيلاقي ربه في الجنة.

لذا جعل القرآن الكريم أفضل الطرق للوصول إلى الله تعالى هو الطريق المستقيم وهو لا يتخلف ولا يختلف، أي: لا يتغير أمره وشأنه وحكمه في هداية سالكيه إلى غايتهم ومقاصدهم.

خصائص أصحاب الصراط المستقيم:

١ ـ إن أصحاب الصراط المستقيم موحدون حق التوحيد علما وعملا لا يشوب باطنهم وظاهرهم شرك وضلال وظلم، لقوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾**[2].

٢ـ إن أصحاب الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إن تساووا في العمل فهم يختلفون في المراتب بحسب العلم كما تشير الآيات الكريمة، لقوله تعالى: **﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ**

(١) سورة المؤمنون، الآيات ١٢-١٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

﴿ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾[١].

٣ـ إن أصحاب الصراط المستقيم يتركون المعاصي؛ لأن المعصية لا توافق طبعهم فهم يعلمون باطن الإثم وظاهره، وكذلك العمل الواجب موافق إلى طبعهم فالتكاليف لم تكن مشقة عليهم، لقوله تعالى: ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾[٢].

٤ـ إن أصحاب الصراط المستقيم مهيمنون على أصحاب السبل كما أن الصراط المستقيم مهيمن على السبل، لقوله تعالى: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[٣].

٥ـ إن أصحاب الصراط المستقيم هم الكاملون المحقون المخلصون، وهم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لأجل العمل به، لقوله تعالى: ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ للهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[٤].

الإنحراف عن الصراط المستقيم:

الإنحراف عن الصراط المستقيم هو وقوع في الظلمات التي لها أنواع كثيرة يجمعها قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾[٥]، وذكر الله تعالى المغضوب عليهم والضالين بعنوان الجمع إشارة إلى التعدد والاختلاف وعدم الوحدة فيه، بخلاف

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٠.
(٣) سورة المائدة، الآية ١٦.
(٤) سورة النساء، الآية ١٤٦.
(٥) سورة الفاتحة، آية ٧.

الصراط المستقيم فإنه واحد لا تعدد فيه بوجه، وهو النور الذي لم يستعمل في القرآن إلا مفردا. كقوله تعالى: ﴿ **يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ** ﴾[١]، بخلاف الظلمات بالجمع قال تعالى: ﴿ **اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ** ﴾[٢].

عن أبي عبد الله عليه السلام: «في قوله الصراط المستقيم قال: **هو أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين قوله ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾، وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب**»[٣].

(١) سورة النور، آية ٣٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٧.

(٣) سورة الزخرف – الآية ٤. تفسير القمي،ج ١،ص ١٢٨.

-٣-

الإنسان المختار لطريق الشر

من لطف الله بالإنسان أنه ألهمه طريقي الخير والشر وجعل نسبة الخير غالبة والميل إليها شديدا من خلال الفطرة السليمة لقوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[١]

عن مهزم قال ابوعبدالله عليه السلام: «**اخبرني عما اختلف فيه من خلفت من موالينا** قال: فقلت في الجبر والتفويض، قال: **فاسألني**، قلت: أجبر اللهّ العباد علي المعاصي، قال: **اللهّ اقهر لهم من ذلك**، قال: قلت: ففوض اليهم، قال: **اللهّ اقدر عليهم من ذلك**، قال: قلت فأيّ شيء هذا اصلحك اللهّ، قال: فقلّب يده مرّتين او ثلثاً ثم قال: **لو اجبتك فيه لكفرت**»[٢]، فإن اختار طريق الخير فنعم الاختيار وعندها يجد تسديدا ومددا إلهيا لكن مع إختبار وإمتحان بالبلاءات لغرض التثبت من عقيدته وسلوكه في هذا الطريق،أما إذا اختار طريق الشر فسيجد المدد والتأييد الشيطاني منه ومن أتباعه مع الاختبار الإلهي علّ هذا الإنسان يعود إلى رشده ويعود القهقرى ويلتزم طريق الخير.

في البدء كان الإختيار: جعل الله الإنسان مختارا، وعلى ضوء اختياره جعله مسؤولا، أي إن حرية الإنسان في الاختيار هي حرية مسؤولة، حيث يتعرض الإنسان في حياته

(١) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٢) التوحيد، الشيخ الصدوق، ص ٣٦٣.

وبعد مماته لمسؤولية اختياراته الإيجابية والسلبية، قال تعالى: ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[١]، والنجد الطريق، والنجدان هما طريقا الحياة السعيدة والشقية، طريق الخير والشر، وكلمة (هديناه) تعني فتحنا أمامه كلا الطريقين، وزينا له الأول وقبحنا له الثاني، فالإنسان وما اختار، لذلك عبر سبحانه وتعالى عن نتائج هذا الاختيار بقوله: ﴿ **إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا** ﴾[٢]، شاكرا: إذا اختار (طريق الخير)، كفورا: إذا اختار (طريق الشر)، وكل يتحمل مسؤولية اختياره،وورد عن النبي الأكرمﷺ مشيرا إلى قابلية الإختيار لدى الإنسان أنه قال: «**أيها الناس إنما هما نجدان نجد خير ونجد شر فما بال نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير**»[٣]، ولنا أن نترجم هذا القول الذي لم يقرر الحقيقة فقط، بل أرشد إلى أهدى السبل وأفضلها، على الأنحاء التالية: طالما أنكم – أيها الناس – مختارون وعارفون بما هو الأصلح والأفلح معرفة فطرة وعقل ووعي وعلم وترجيح وتجربة.

إن لوجود المصائب والآلام والمعاناة والتحديات في حياة الإنسان دورا كبيرا في رقيه وتقدمه العلمي والطبي والأخلاقي، ولذلك فإن الشرور الطارئة عرضا هي أيضا مفيدة وليست ضارة، كالعملية الجراحية التي فيها شفاء المريض من الموت فلا يعد شرا، والإنسان يطلب من الجراح إجراء العملية ويعطيه مالا على ذلك لإنقاذ حياته، ولا يعد الألم والخسارة المادية شرا له لما فيها من مصلحة كبيرة.

والإنسان له عدوان: عدو من داخله وهو النفس الأمارة بالسوء، وعدو من خارجه وهو الشيطان ورفاق السوء.

---

(١) سورة البلد، الآية ١٠.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣.

(٣) بحار الأنوار، ج٢، ص٢١.

وعلة إختيار بعض طريق الخير، وبعض آخر طريق الشر، يعود إلى عوامل عديدة:-

منها: الاستجابة لنداء النفس أو مخالفتها: فإن النفس بطبعها تحب الراحة والإنفلات وعدم التقيد، وتميل إلى الشهوات والدنيا وغيرها فمن خالف نفسه، وأطاع عقله اختار طريق الخير والرشاد، والعكس بالعكس.

ومنها: الاستجابة لنداء الشيطان أو الرحمن: فالشيطان يأمر بالسوء والفحشاء والمنكر والبغي والتمرد على الله، والله تعالى يأمرنا بالخير والعدل والإحسان، والإنسان بإرادته يختار أحدهما.

ومنها: عامل التربية والتعليم: فلو تربى شخص تربية إيمانية سيعيش جوا إيمانيا ويتلاءم معه، بخلاف من تربى تربية غير إيمانية سنرى فيه النوازع الى الشر قوية، لقوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾[1].

ومنها: شدة وضعف المعرفة بالله تعالى: كلما اشتدت معرفة الإنسان بالله إزداد حبا له وتقربا منه وامتثالا لأوامره، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾[2]، وكلما ضعفت معرفته ضعف انجذابه إليه.

ومنها: الأصدقاء: فلو كان للإنسان رفاق سوء، سيجرونه إلى أعمال الشر، بخلاف ما لو كان له أصدقاء صالحون، فإنه سيعيش أجواءهم ويتأثر بسيرتهم الصالحة، وسلوكهم الطيب، لقوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا۞ يَاوَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلا۞ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي**

(١) سورة الأعراف،الآية ١٧٠.
(٢) سورة فاطر، الآية ٢٨.

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولا ﴾[١].

ومنها: عزيمة الشخص: فبعض الناس يريدون الله ويبحثون عنه بشكل جاد، وبعضهم لا يهمهم الأمر كثيرا ويقومون بالتسويف إلى مرحلة الكبر والهرم، ليقوموا حينها بالتوبة، والبعض لا يفكر بالأمر وينشغل بالدنيا، لقوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيما ﴾**[٢].

ومنها: أن ممارسة بعض الأعمال الخيرة تكون سببا للتوفيقات الإلهية، وممارسة بعض الأعمال الشريرة تكون سببا لأن يكلنا الله إلى أنفسنا، لقوله تعالى: ﴿ **فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾**[٣].

ومنها: كثرة الانشغال بالدنيا: فالإنسان الذي ينشغل بالدنيا كثيرا، ولا يترك مجالا لنفسه للمراجعة والمحاسبة، والتفكير بمستقبله الحقيقي وعوالمه اللاحقة، والتفكير بمبدئه ومعاده، وخالقه ومنشئه، بطبيعة الحال لن نرى فيه حافزا كبيرا نحو الخير وسلوك طريق الأبرار، ولذا ورد عن الأنبياء والأئمة عليهم السلام: «**حب الدنيا رأس كل خطيئة**»، لقوله تعالى: ﴿ **اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾**[٤].

---

(١) سورة الفرقان، الآيات٢٧-٢٩.

(٢) سورة النساء، الآية١٧.

(٣) سورة الزلزلة، الآيتان ٧-٨.

(٤) سورة الحديد، الآية٢٠.

وورد في الأدعية والمناجاة الطلب من الله بأن يخرج حب الدنيا من قلوبنا: سيدي أخرج حب الدنيا من قلبي.

ومنها: كثرة ممارسة الذنوب: فإنها تظلم القلب، وتوسخ الروح، وتصبح مجانسة بينه وبين العمل السيئ، فيقوى فيه داعي الشر، بخلاف من ابتعد عن المعاصي، وإقترب من الطاعات، فإنه يقوى فيه داعي عمل الخير، لقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ** ﴾[1].

ولكن كل هذا لا يوصله إلى مرحلة الإلجاء والجبر، ولكنها أسباب وعوامل، وكلما ازدادت ازداد احتمال سلوك طريق الشر، وكلما أضعف الإنسان بإرادته هذه العوامل، ضعف فيه احتمال سلوك طريق الشر، وقوي فيه سلوك طريق الخير.

والارتباط بالله والمراقبة الشديدة واللجوء إليه تعالى والدعاء بأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، وأن ينجينا من الشياطين وألاعيبهم وإغواءاتهم، له دور كبير في التوفيق والتسديد والتأييد الإلهي لعباده الصالحين.

وبالجملة: الأمر كله قائم على عزيمة قوية وصادقة وإصرار شديد من الإنسان على سلوك طريق الخير، مع الدعاء والالتجاء الدائم إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الروم، الآية ١٠.

-٤-

الإنسان غيور على زوجته

من الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان هي الغيرة بجانبها الإيجابي دفاعا عن المحارم والدين والمال والمذهب، وليس بجانبها السلبي المبني على الشك والريبة، علما أن الجانب الإيجابي ممدوح ومأمور به الرجل خصوصا عن محارمه وبالأخص عن زوجته وابنته، فحث الإسلام على ذلك وكما هو نهج الأنبياء والأديان السابقة، حفاظا على المجتمع الإسلامي وصونا له من الأفكار الجامحة في هذا الزمان بعنوان الحرية للمرأة تذويبا لعفتها ونشرا لخصوصياتها وإباحة لزينتها ومفاتنها إشغالا للرجال فيها، وبالتبع العيش في محذور معصية الله وهذا يؤدي الى ابتعادهم بل ابتعاد المجتمع ككل بالمعاصي والذنوب والابتعاد عن طاعة الله للوصول الى شيطنة المجتمع لغرض السيطرة عليه وتوجيهه كيفما يراد، ولهذا أولا نعرف الغيرة، وثانيا نبين الأدلة النقلية عليها، وثالثا ماهو المتحصل، ورابعا ماذا يحدث إذا خرجت الغيرة عن حدودها الشرعية؟

الغيرة هي أفكار، وأحاسيس وتصرفات تحدث عندما يظن الشخص أن علاقته القوية بشخص ما تهدد من قبل طرف آخر منافس، وهذا الطرف الآخر قد يكون مدركا أو غير مدرك أنه يشكل تهديدا. وقيل الغيرة: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه. وقال الراغب الأصفهاني: «الغيرة ثوران الغضب حماية على أكرم الحرم، وأكثر ما تراعى في النساء». والغيرة -بالفتح- المصدر من قولك: غار الرجل على أهله والمرأة على بعلها تغار غيرة وغيرا وغارا وغيارا والغيرة هي الحمية والأنفة.

والغيرة، من الفضائل الأخلاقية التي تدفع الإنسان للدفاع عن محارمه، ونواميسه (شريعته)، ودينه، ومذهبه، وماله، ووطنه.

وهي من الصفات الإلهية كما صرحت بذلك بعض الروايات، وقد ذكر الملا أحمد النراقي في كتابه معراج السعادة أنها لا تنحصر في الغيرة على النساء، بل تعم الغيرة على الدين أيضا، فكما أن المؤمنين لا يغفلوا عن نسائهم، عليهم أن لا يغفلوا عن دينهم، وذلك من خلال مقاطعة المبتدعين في الدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا تبرجت المرأة فجاوزت حد الكمال، فلم يمنعها كان مسؤولا أمام الله وإذا أظهرت زينتها لغير من أحل الله فلم ينصحها سأله الله، وإذا خالطت الأجانب فلم يحل بينها وبين ذلك أثم، وإذا نصحها فعصت أو منعها من الخروج إذا رأى مصلحة فأبت، استوجبت الإثم.

وفي ذلك يقول ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الرجل الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر.**

قالوا: يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: **الذي لا يبالي من دخل على أهله.** قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: **التي تتشبه بالرجال**»[1].

وروي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**أما تستحيون، ولا تغارون نساءكم يخرجن إلى الأسواق، ويزاحمن العلوج**»[2].

ويتصل بهذا غيرة الرجل على زوجته، وهي طبيعة فاضلة إن لم تتجاوز حدودها. قال رسول الله ﷺ: «**كان إبراهيم عليه السلام أبي غيورا وأنا أغير منه وأرغم الله أنف من لا يغار**

(١) شرح رسالة الحقوق، ص ٥٢٤.
(٢) الكافي،ج: ٥، ص: ٥٣٧.

من المؤمنين»[١].

وعلى الزوج ألا يسرف في الغيرة! وإلا سببت حقدا وولدت جفاء، وذهبت بكرامة الزوجة، قال ﷺ: «**من الغيرة ما يحبّ الله، ومنها ما يكره الله، فأمّا ما يحبّ فالغيرة في الريبة، وأمّا ما يكره فالغيرة في غير الريبة**»[٢]. وقد نهى النبي ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخوفهم أو يطلب عثراتهم. قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَجَسَّسُوا** ﴾.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**إن الله غيور يحب كل غيور ومن غيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها**»[٣].

عن عبد الله بن أبي يعفور قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب**»[٤].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الجنة ليوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجدها عاق ولا ديوث قيل يا رسول الله وما الديوث قال الذي تزني امرأته وهو يعلم**»[٥].

يتحصل من كل ما مرَّ:

١- أن غيرة الرجل ممدوحة وهي من الإيمان، لأنها تأتي في مقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع وقوع المرأة في الحرام والفاحشة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ج٣ ص٤٤٤.
(٢) ميزان الحكمة - محمد الريشهري، ج ٨ ص ٦١٤.
(٣) الكافي، ج ٥،ص ٥٣٥،ح ١.
(٤) الكافي،ج ٥، ص ٥٣٦.
(٥) الخصال، ج١ ص٣٧.

٢- يجب أن لايسرف الرجل في تطبيق معنى الغيرة فيخرجه عن الحد اللازم وذلك بأن يأتي بها بناء على شكه وريبته وسوء ظنه مما يؤدي الى هدم الأسرة وهز كيانها.

٣- أن هذه الغيرة عند الرجل فيها دلالة على أنفته وكرامته وعزته فهي تكون موجودة فيه ومؤثرة بنفسه بمقدار تلك القيم المركوزة في داخله.

٤- أن الرجل الفاقد للغيرة رجل لا كرامة له ولا قيمة لقدره؛ لأنه قبل بالسوء وصرف النظر عن العرض فهو دون الرجال وعز الرجولة.

الغيرة كما اتضح هي صفة شريفة، ودليل صحة وعافية، ولكن إذا وضعت في غير محلها أو خرجت عن حدودها وطورها انقلبت إلى مرض، وقد تتسبب بالمشاكل إذا وصلت إلى حد شعرت الزوجة معها بعدم الثقة بها، فهنا ترفض المرأة هذا الواقع، وتطالب الرجل بإخراجها من السجن الذي قد جعلها فيه بسبب شكوكه.

وتشير بعض الروايات إلى أن هذه الغيرة في غير محلها قد توصل المرأة إلى الإنحراف! فقد حذرت الرواية عن مثل هذا الفعل فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى الحسن قال عليه السلام: «**إياك والتغاير في غير موضع الغيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة منهن إلى السقم ولكن أحكم أمرهن فإن رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير والكبير فإن تعينت منهن الريب فيعظم الذنب ويهون العتب**»[1].

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري،ج ٣ - ص ٢٣٤٣.

-٥-

الإنسان والتضحية

لا يمكن أن تنتصر قضية ليس أصحابها مستعدين للتضحية من أجلها، غير أن هنالك فرقا بين من يبحث عن المجد الشخصي، وإحراز الانتصار على أعدائه في حياته، وبين من يمتلك قضية، ويسعى من أجل انتصارها، حتى وإن أدى ذلك إلى التضحية بنفسه...

فالأول: إذا خسر، ستكون في خسارته نهايته.

والثاني: إذا خسر، فقد يكون في خسارته نجاحه.

فالأهداف العليا، كالمثل والقيم والدين، ستجد من ينتصر لها يوما، ولذلك فمن يموت دون قضية، يزيدها قوة ومناعة... فالتضحية بالنفس للقضايا... تقويها وتحييها.

بينما التضحية للنفس بالقضايا... تنهيها وتقضي عليها، وعلى أية حال فإن المغامرة من أجل الأهداف، وخوض الغمرات في الدفاع عنها، ضرورة من ضرورات العمل للحق، وواجب من واجبات الإيمان بالقيم.

وأساسا كيف نعرف صدق المدعين إلا حينما يدعون إلى التضحية والفداء؟

إن أدعياء الحق كثيرون، ولكن المستعدين لبذل كل شيء له، هم الصادقون منهم، وهم الأقلون، وكما قال الإمام الحسين عليه السلام: «**فإني لا أرى الموت إلا الحياة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت**

معايشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون»[١]، ويبدو أن ذلك من سنة الله في الخلق حتى يميز المجاهدين منهم عن الكاذبين، لقوله تعالى في الكتاب الكريم: ﴿ **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[٢].

إن الطريق إلى تحقيق المثل العليا، مليء بالأشواك كما هي الطريق إلى الجنة، فقد قال رسول الله ﷺ: «**حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات**»[٣].

وإذا كانت لنا برسول الله قدوة حسنة، فإن النبي ﷺ كما قال أمير المؤمنين عنه: «**خاض إلى رضوان الله كل غمرة وتجرع فيه كل غصة. وقد تلون له الأدنون وتألب عليه الأقصون وخلعت إليه العرب أعنتها وضربت إلى محاربته بطون رواحلها حتى أنزلت بساحته عداوتها من أبعد الدار وأسحق المزار**»[٤].

إذن ومن خلال كتاب للإمام علي عليه السلام إلى أمرائه على الجيوش: «**و لا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق**».

ولقد أوصى الإمام ولده الحسن عليهما السلام ـ وهو العزيز على قلبه ـ أن يخوض كأبيه الغمرات للحق في وصيته له قائلا: «**و أمر بالمعروف تكن من أهله وأنكر المنكر بيدك ولسانك وباين من فعله بجهدك وجاهد في الله حق جهاده ولا تأخذك في الله لومة لائم**»[٥].

---

(١) بحار الأنوار، ج٧٥، ص١١٦.
(٢) سورة العنكبوت،الآيات ١ – ٣.
(٣) روضة الواعظين، ج٢، ص٤٢١.
(٤) نهج البلاغة، ج١،ص٣٠٧.
(٥) مستدرك الوسائل، ج١٢،ص١٩٠.

إن التضحية المطلوبة، لا تعني بالضرورة أن يموت الإنسان من أجل قضيته، ولكنها تعني حتما الاستعداد للمغامرة من أجلها وعدم وضع حد لما تتطلبه من الغالي، والرخيص.

وأين تكون التضحية في سبيل الله والفناء في ذات الله والعمل في جنب الله إلا حين تستقيم النفس سافرة لا تلتمس ريبة، صريحة لا تتكلف مداراة ولا مداورة ولا استخفاء، مجاهدة جهادها الأكبر في تحطيم ميولها الشخصية، ومعاكسة طبيعتها البشرية بكبح جماحها الأرضي الاناني.

وها هي ذي «الإمامة» بكل معانيها المنقطعة إلى الله وها هو ذا «الإمام» المنقطع إلى الله بكل معانيه.

واذا لم يكن الظرف القائم بين يديه، كافيا للانتصار على الباطل فلم لا يتخذ منه ظرف كاف للاحتفاظ بالحق؟

وهكذا الإمام علي عليه السلام كان دائما على استعداد للمغامرة بحياته في سبيل الرسالة، فما من غزوة إلا وهو أميرها، أو بطلها، وما من دعوة تتطلب التضحية إلا وهو أول من يستجيب لها، وكذلك الإمام الحسن عليه السلام ضحى بالخلافة في سبيل الحفاظ على الإسلام وكانت النتيجة الشهادة في سبيل الله، إنها المرحلة الدقيقة من مراحل تاريخ الإسلام، وهي مرحلة الفصل بين الخلافة الحقيقية والملك [بين الامامة الدينية والسلطان]، بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية.

ولم يكن هذا الفصل ـ على صورته الظاهرة ـ مما تألفه الذهنية الإسلامية بادئ الرأي، ولكنه الأمر الواقع الذي درج عليه السلام وألفه المسلمون من حيث يعلمون ومن حيث لا يعلمون، منذ قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا في الفترات القصيرة التي كانت قطرة في بحر

هذه القرون.

وكان الاستسلام لعملية الفصل من قبل أولياء الأمر الشرعيين، الوسيلة الإصلاحية التي يجب الأخذ بها عند الخوف على بيضة الإسلام، وأيضا تجلت التضحية بكل معانيها في الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته واصحابه، وكنموذج على هؤلاء الأنصار للحق وللحسين عليه السلام بشير بن عمرو الحضرمي، وقيل: اسمه محمد بشير محمد بن الحضرمي، كان من حضرموت وعداده في كندة، وكان تابعيا وله أولاد معروفون بالمغازي، وهو من أصحاب الإمام عليه السلام الراسخين والأوفياء.

سمع النبأ الفادح لأسر ابنه وهو في كربلاء، وفي حين كان بإمكانه أن يترك ساحة الحرب بذريعة فكاك ابنه من الأسر، إلا أنه أثبت فتوته ولم يترك الإمام عليه السلام. قيل لمحمد بن بشير الحضرمي: قد اسر ابنك بثغر الري، قال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت احب أن يؤسر، ولا أن أبقى بعده.

فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال له: **رحمك الله! أنت في حل من بيعتي، فاعمل في فكاك ابنك**، قال: أكلتني السباع حيا إن فارقتك.

قال عليه السلام: **فأعط ابنك هذه الأثواب البرود** «البرد: نوع من الثياب معروف، والبردة: الشملة المخططة» **يستعين بها في فداء أخيه، فأعطاه خمسة أثواب ثمنها ألف دينار**.

وفي كتاب مقاتل الطالبيين عن حميد بن مسلم:جاء رجل حتى دخل عسكر الحسين عليه السلام، فجاء إلى رجل من أصحابه، فقال له: إن خبر ابنك فلان وافى؛ إن الديلم أسروه، فتنصرف معي حتى نسعى في فدائه، فقال: حتى أصنع ماذا؟ عند الله أحتسبه.

وجاء في رواية اخرى أن الإمام عليه السلام قال: **إنه سيعطيه فدية فكاك أسر ابنه أيضا**، لكنه لم يقبل ذلك، وقال:، هيهات أن افارقك، ثم أسأل الركبان عن خبرك! لا يكون ـ

والله ـ هذا أبدا، ولا افارقك.

واستنادا لرواية الطبري فإن بشيرا وسويدا كانا آخر أصحاب الإمام الذين التحقوا بموكب شهداء كربلاء.

خرج لقتال الأعداء وهو يرتجز بهذه الأبيات حتى أستشهد:

اليوم يا نفس الاقي الرحمن والـيـوم تجـزيـن بكـل إحسـان
لا تجـزعـي فـكـل شيء فـان والصبر أحظى لك عند الديان

ورد اسمه في زيارة الناحية المقدسة هكذا:

السلام على بشر بن عمر الحضرمي، شكر الله لك قولك للحسين وقد أذن لك في الانصراف: أكلتني إذن السباع حيا إن فارقتك وأسأل عنك الركبان، وأخذلك مع قلة الأعوان، لا يكون هذا أبدا.

-٦-

الإنسان والإيثار

الإيثار في اللغة هو اختيار الشيء وتقديمه على غيره، يقال آثره عليه أي: فضّله، وآثرتك إيثارا أي: فضّلتك، واستأثر بالشيء على غيره، أي خص به نفسه واستبد به، والاستبداد يقابل الإيثار، وبالخلاصة إن الإيثار أن تفضل الآخرين على نفسك فيما أنت محتاج إليه، لقوله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ ...**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾[١].

من الواضح أن للإيثار أهمية كبرى في حياة المسلم، فمضافا إلى كونه عبادة من العبادات التي يترتب على فعلها الأجر والثواب، هناك جملة من الفوائد الأخرى المترتبة عليه، منها:

١- نفي الحرص والطمع: الأثر الذي تتركه في نفس المؤثر، حيث إنها تطرد عنه الحرص والطمع وشح النفس، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام قوله: «**أفضل السخاء الإيثار**»[٢].

٢- توطيد العلاقات والروابط الإجتماعية وإحكامها بين المؤمنين: من قضاء حاجاتهم وتفقد أحوالهم، فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**كان عند فاطمة عليها السلام شعير فجعلوه عصيدة فلما أنضجوها ووضعوها بين أيديهم جاء مسكين فقال المسكين:**

(١) سورة الحشر،الآية ٩.

(٢) غرر الحكم، ح ٩١٤٦.

رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها ولم يلبث أن جاء يتيم فقال اليتيم: رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فقام علي عليه السلام فأعطاه ثلثها الثاني ثم جاء أسير فقال الأسير رحمكم الله أطعمونا مما رزقكم الله فأعطاه علي عليه السلام الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله فيهم هذه الآية إلى قوله ﴿ ....و كان سعيكم مشكورا ﴾[١]، في أمير المؤمنين عليه السلام وهي جارية في كل مؤمن فعل مثل ذلك لله تعالى»[٢].

٣- الإيثار بالعبادة والدعاء: هناك نصوص كثيرة تحث المؤمنين بالدعاء لبعضهم بعضا وعلى هذا جرت سيرة المعصومين عليهم السلام فقد روي عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى عن الحسين بن علي عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «**رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعة فلم تزل راكعة وساجدة حتى انفجر عمود الصبح وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسميهم وتكثر الدعاء لهم ولا تدعو لنفسها بشيء فقلت لها: يا أماه لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك فقالت: يا بني الجار ثم الدار**»[٣].

٤- الإيثار بالمال: وقد مدح الله تعالى أهل البيت عليهم السلام حينما أنزل عليهم سورة من القرآن وذلك عندما باتوا ثلاثة أيام من غير إفطار على طعام سوى الماء حيث إنهم كانوا عندما يقدمون على تناول الطعام يأتيهم طالب حاجة فيؤثرونه على أنفسهم، ففي اليوم الأول عندما أرادوا الإفطار وإذا بالباب يطرق، وسائل يقول: أنا مسكين من مساكين المسلمين وإني جائع أطعموني.. فيطعمونه ما بيدهم ويبيتون جائعين، وفي اليوم الثاني أيضا عندما أرادوا الإفطار وإذا بالباب يطرق، وسائل يقول: أنا يتيم.. ويطلب الطعام

---

(١) سورة الإنسان،الآية ٢٢.

(٢) مستدرك الوسائل، ج٧، ص٢٦٨.

(٣) كشف الغمة، ج١، ص٤٦٨.

وكذلك يبيت أهل البيت عليهم السلام ليلة أخرى جياعا، وفي اليوم الثالث كذلك عند الإفطار يأتي أسير يطلب الطعام فيعطونه طعامهم.. فأنزل الله تعالى الآيات: ﴿ **يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا** ﴾[1].

وقد تجسد الإيثار في كربلاء في مواطن عديدة منها:

– إيثار أبي الفضل العباس بن أمير المؤمنين عليهما السلام: وذلك عندما رمى الماء من يديه وكان قلبه يتلظى من العطش وأخذ يقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني ... وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون ... وتشربين بارد المعين
تالله ما هذا فعال ديني ... ولا فعال صادق اليقين[2]

– إيثار سعيد بن عبد الله الحنفي: سعيد بن عبد الله الحنفي الذي ذكر أيضا باسم: سعد بن عبد الله الحنفي وسعيد بن عبد الله الخثعمي، هو أحد الأصحاب الراسخين، والوجوه المعروفة في كربلاء، واستنادا إلى رواية البلاذري، فإن سعيد بن عبد الله كان في عهد إمامة الإمام الحسن عليه السلام من مخالفي الصلح مع معاوية، لكن وافق عليه بعد التشاور مع الإمام الحسين عليه السلام.

كان سعيد بن عبد الله أحد الذين دعوا الإمام الحسين عليه السلام إلى الكوفة والتقى بالامام برفقة المجموعة الثانية التي حملت كتب الكوفيين إليه، كما كان عامل إيصال جواب الإمام عليه السلام لأهل الكوفة.

---

(١) سورة الإنسان، الآيات ٧-٩.
(٢) كتاب مقتل الحسين، أبو مخنف الأزدي، ص ١٧٩.

جاء سعيد إلى دار المختار بعد مجيء مسلم عليه السلام إلى الكوفة وأعلن عن نصرته ووفائه للنهضة الحسينية، من خلال كلمة ألقاها وحرض فيها الناس على البيعة لمسلم والطاعة له. وعندما أذن الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء لأصحابه أن يتركوه ويخرجوا من أرض المعركة، أظهر محبته ووفاءه في خطبة ملحمية، حيث قال: والله، لو علمت أني اقتل، ثم احيا، ثم احرق حيا، ثم اذر، يفعل ذلك بي سبعين مرة، ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك.

واستنادا إلى بعض الروايات، صلوا الظهر [أي في يوم عاشوراء]، صلى بهم الحسين عليه السلام صلاة الخوف، ثم اقتتلوا بعد الظهر، فاشتد قتالهم ووصل إلى الحسين عليه السلام، فاستقدم الحنفي أمامه، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل يمينا وشمالا قائما بين يديه، فما زال يرمى حتى سقط، قال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد الله: تقدما أمامي، فتقدما أمامه في نحو من نصف أصحابه، حتى صلى بهم صلاة الخوف.

وروي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم أمام الحسين عليه السلام، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل، فما أخذ الحسين عليه السلام يمينا وشمالا إلا قام بين يديه، فما زال يرمى وهو قائم بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام طورا بوجهه، وطورا بصدره، وطورا بيديه، وطورا بجنبيه، فلم يكد يصل إلى الحسين عليه السلام شيء من ذلك حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللهم العنهم لعن عاد وثمود، اللهم أبلغ نبيك عني السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك. ثم مات فوجد به ثلاثة عشر سهما سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح.

وقد جاء في الزيارة الرجبية. وكذلك في زيارة الناحية المقدسة:

السلام على سعد بن عبد الله الحنفي، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف:

«لا والله لا نخليك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك، والله لو أعلم أني اقتل ثم احيا ثم احرق ثم اذرى، ويفعل بي ذلك سبعين مرة ما فارقتك، حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي موتة أو قتلة واحدة، ثم هي بعدها الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا».

-٧-

الإنسان والثبات في زمن الفتن

قال الله تعالى: ﴿ **الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾[١].

الفتنة كما عرفها أهل اللغة أنها الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب إذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد[٢].

والفتن من السنن الإلهية القطعية الحدوث والتي تجتاح الفكر البشري أينما حل طيلة وجوده في الحياة الدنيا، فلن تستثني أحدا دون آخر ولن تقتصر على زمان محدد ولا مكان دون آخر، غير أن الروايات الشريفة أشارت الى أن فتن آخر الزمان هي الأشد وقعا والأمضى أثرا في تساقط المسلمين وتشضي وحدتهم، فأغلب تلك الروايات هي مما أتفق عليه بين عامة المسلمين، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون بعدي فتن، منها: فتنة الأحلاس يكون فيها حرب وهرب ثم بعدها فتن أشد منها، ثم تكون فتنة كلما قيل: انقطعت تمادت حتى لا يبقى بيت إلا دخلته ولا مسلم إلا صكته حتى يخرج رجل من عترتي**»[٣].

لقد بدأت رياح الفتن تعصف بالأمة لتخلط الحق بالباطل، والخير بالشر، وبدأت

(١) سورة العنكبوت،الآيات ١-٣.
(٢) لسان العرب لابن منظور.
(٣) التشريف بالمنن، ج١، ص٧٠.

بذور الفتن تزرع بين المسلمين لتستميل من أصم الشيطان أسماعهم وأعمى أبصارهم وخدعهم بمسميات وشعارات تستبطن الفرقة في مضمونها كالانفتاح والحداثة وما شاكل ذلك. لقد استيقضت فتن الشهوات والشبهات من وحل الغفلة والجهل، وهبت رياحها لتعصف بأصحاب القلوب الضعيفة والعقول الفارغة، وستطرق ابواب المسلمين بابا بابا وسيهتز ويسقط كل من أسس بنيانه على شفا جرف هار وسينهار بهم في مستنقعات من افكار منحرفة، فعن الفضل بن شاذان عن أحمد بن محمد بن أبي نصر قال: قال أبو الحسن عليه السلام: «**أما والله لا يكون الذي تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا أو تمحصوا حتى لا يبقى منكم إلا الأندر** ثم تلا ﴿ **أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ** ﴾[١].

قال الله تعالى مخاطبا نبيه محمدا صلى الله عليه وآله: ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾[٢].

روي أن بعض أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله قالوا له: «لقد أسرع فيك الشيب، فأجاب صلى الله عليه وآله: **شيبتني سورة هود**»[٣].

ومن سر ذلك نقل عن ابن عباس في تفسير الحديث السابق: أنه ما أنزل على رسول الله آية كانت أشد عليه ولا أشق من آية ﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴾.

وهناك على مر التاريخ نماذج إيمانية ثابتة في وجه الفتن المحيطة بهم منها:

---

(١) سورة آل عمران،الآية ١٤٢،الغيبة للطوسي،ج١، ص٣٣٦.

(٢) سورة هود،الآية ١١٢.

(٣) تفسير كنز الدقائق، ج٦،ص٢٥٠.

١- نبي الله سليمان الذي حدثنا الله تعالى عن ولايته التكوينية بقوله: ﴿ **فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ** ﴾[١].

ومع ذلك روي: «أن سليمان بن داود مر في موكبه والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وعن شماله قال فمر بعابد من عباد بني إسرائيل فقال: والله يا بن داود لقد آتاك الله ملكا عظيما قال فسمعه سليمان عليه السلام فقال: **لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود وإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى**»[٢].

٢- والنموذج الآخر آسية بنت مزاحم التي كانت زوجة فرعون، تعيش في قصره الكبير، في ثراء وفير، بين خدم وحشم كثير، ومع ذلك رفضت كل هذا الثراء، وسلكت في سبيل الله تعالى، وفضّلت بيتا عند الله في الجنة على قصور فرعون في الدنيا فقالت: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾.

كانت امرأة فرعون نموذجا في مواجهة التهديد والتعذيب كما كانت نموذجا في ترك ملذات الدنيا.

فقد هددت بالعذاب، فلم تتراجع حتى مدت بين أربعة أوتاد، ثم ما زالت تعذب، وهي تردد: ﴿ **رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ** ﴾ حتى ضربها الله مثلا لكل المؤمنين في العالم: قال تعالى: ﴿ **وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾.

٣- ومن النماذج الأولى لمقاومة التهديد والتعذيب هو نبينا محمد صلى الله عليه وآله الذي حاول المشركون أن يثنوه عن سبيل الله بالتهديد فعبر عن ثباته على الصراط بقوله: «**والله لو**

(١) سورة ص،الآية ٣٦.

(٢) بحار الأنوار، ج١٤،ص٨٣.

وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري، ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه»[١].

أن الذي يتصفح التاريخ الإسلامي بتمعن وانصاف يجد بين الفينة والأخرى ظهور أفكار ونظريات من رحم تيارات وأحزاب ثبت انحرافها، فقد كانت تغرز أنيابها لتشل العقول بشعارات ظاهرها مقدس وباطنه، سم زعاف ولتسير بالأمة نحو المزيد من التشظي والانقسام والابتعاد عن جوهر الدين، وعن حقيقتة الإلهية التي أمر الله به، وهذا لعمري أعظم أنواع الفتن وأشدها فتكا بجسد الأمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: **قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه يسمون به وهم أبعد الناس منه مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى فقهاء ذلك الزمان شر فقهاء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود»**[٢].

والروايات بهذا الشأن جاءت مستفيضة موضحة لحال الأمة وحقيقة ما سيصيبها من التردي والانحطاط، وتشرح الخذلان والسقوط الذي سيمنى به بعض المسلمين جراء ما سيصيبهم من فتن خرجت منهم لترتد اليهم، عندها سيمسي الإسلام غريبا كما بدأ غريبا، وعندها ستحرف المفاهيم وتبدل الأقوال ويكون الزور والكذب والغش والخداع ممارسات لا يملكها الا أهل الفطنة والذكاء والدهاء لتتحول الى مظاهر محمودة يتسابق عليها الجهال طمعا في حطام زائل.

لقد خطب أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي عليه السلام فذكر [بعض] الملاحم فقال: **«سلوني قبل ان تفقدوني، اما والله لتشغون الفتنة الصمآء برجلها وتطآء فى خطامها،**

(١) الغدير، الشيخ الأميني، ج ٧،ص ٣٥٩.
(٢) الكافي، ج٨، ص٣٠٧.

فيا لها من فتنة شبت نارها بالحطب الجزل، مقبلة من شرق الأرض، رافعة ذيلها، داعية ويلها، بدجلة او حولها، ذاك إذا استدار الفلك، وقلتم مات او هلك، وباى واد سلك، ولو شئت لأخبرتكم بما ياتي ويكون من حوادث دهركم، ونوآئب زمانكم، ولكن افضيه الى من افضيه اليه، مخافة عليكم، ونظرا لكم، علما مني بما هو كآئن، وما تلقون من البلآء الشامل، ذاك عند تمرد الاشرار، وطاعة اولي الخسار، حيث يكون الضرب بالسيف اهون على المؤمن من اكتساب درهم حلال، حين لا تنال المعيشة الا بمعصية الله فى سمآئه، حين تسكرون من غير شراب، وتحلفون من غير اضطرار، وتظلمون من غير منفعة، وتكذبون من غير احراج، تتفكهون بالفسوق، وتتبادرون بالمعصية، قولكم البهتان، وحديثكم الزور، واعمالكم الغرور، فعند ذلك تقتلون، وبانواع البلآء تضربون، يعضكم البلآء كما يعض الغارب القتب»[1]، وفتنة المذهب هي الأعظم والأدهى؛ لأنها تصيب قلب دين الله وجوهره، فلا غرابة أن ترى وحوش الارض وشياطينها تتسابق للنيل من هذا المنهج، فنرى الفتن تتعاظم وتتفاقم خلال الغيبة الكبرى لصاحب الامر عجل الله تعالى فرجه فيسقط بسببها الكثير من أولئك الذين لا يحملون من التشيع الا رسمه فيتعلقون بقشور الدين، ما ينفعهم ويجتزؤون منه ما يضر مصالحم. قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام: «**الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون**».

ان مجرد الانتماء الشكلي للمذهب لا يعصم المسلم الشيعي من السقوط في أحضان الفتنة، فهي محيرة مضلة، ولكن الادراك الحقيقي لمعنى الولاية، والمعرفة والاتباع المطلق لمنهج محمد وآل محمد عليهم السلام، هو الحصن والسبيل نحو النجاة والخلاص من الفتن وابتلاءاته.

---

(١) نهج البلاغة من شرح ابن أبي الحديد: ج ٢،ص ٥٠،ط ١.

-٨-

الإنسان السوي يحب الروح والريحان

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾[1].

«روح»: على وزن (قول) - كما ذكر ذلك علماء اللغة - في الأصل بمعنى التنفس.

روح: من الممكن أن تكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره (فجزاؤه روح)، أو مبتدأ لخبر محذوف تقديره (فله روح)، وجملة ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ تكون جزاء (أما) وإن الشرطية مع وجود هذا الجزاء مستغنية من الجزاء الآخر (يرجى الانتباه).

«الريحان»: بمعنى النبات أو الشيء ذي العطر، ثم اصطلح على كل شيء باعث للحياة والراحة، كما أن الريحان يطلق على كل نعمة ورزق كريم.

وبناء على هذا فإن الرّوح والرّيحان الإلهيين يشملان كل وسائل الراحة والطمأنينة للإنسان، وكل نعمة وبركة إلهية.

وبتعبير آخر: يمكن القول إن الرّوح إشارة إلى كل الامور التي تخلص الإنسان من الصعوبات ليتنفس براحة، وأما الرّيحان فإنه إشارة إلى الهبات والنعم التي تعود إلى الإنسان بعد إزالة العوائق.

والجدير بالملاحظة أن الحديث عن «جنت نعيم» جاء بعد ذكر الرّوح والرّيحان

(١) سورة الواقعة، الآيتين ٨٨-٨٩.

وقد يستفاد من هذا أن الرّوح والرّيحان يكونان من نصيب المؤمنين في الاحتضار والقبر والبرزخ، وأما الجنة ففي الآخرة، كما نقرأ في حديث للإمام الصادق عليه السلام في تفسيره هذه الآية حيث قال: «**﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ يعني في قبره ﴿ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾ يعني في الآخرة**»[1]، وهناك روايات كثيرة تحدثت عن لقاء الله والبشرى بالرّوح والرّيحان منها:-

عن عبد الصمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قلت أصلحك الله من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه قال: نعم قلت فوالله إنا لنكره الموت فقال: ليس ذلك حيث تذهب إنما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحب فليس شيء أحب إليه من أن يتقدم والله تعالى يحب لقاءه وهو يحب لقاء الله حينئذ وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه**»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح المؤمن قال يا ملك الموت انطلق أنت وأعوانك إلى عبدي فطال ما نصب نفسه من أجلي فأتني بروحه لأريحه عندي فيأتيه ملك الموت بوجه حسن وثياب طاهرة وريح طيبة فيقوم بالباب فلا يستأذن بوابا ولا يهتك حجابا ولا يكسر بابا معه خمسمائة ملك أعوان معهم طنان الرّيحان والحرير الأبيض والمسك الأذفر فيقولون السلام عليك يا ولي الله أبشر فإن الرب يقرئك السلام أما إنه عنك راض غير غضبان وأبشر بروح وريحان وجنة نعيم، قال: أما الرّوح فراحة من الدنيا بلائها وأما الرّيحان من كل طيب في الجنة فيوضع على ذقنه فيصل ريحه إلى روحه فلا يزال في راحة حتى يخرج نفسه ثم يأتيه رضوان خازن الجنة فيسقيه شربة من الجنة لا يعطش في قبره ولا في القيامة حتى يدخل**

(١) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٢٢٨، ح١٠٣، ١٠٤.
(٢) الكافي ج٣ ص١٣٤.

الجنة ريانا فيقول: يا ملك الموت رد روحي حتى يثني على جسدي وجسدي على روحي قال: فيقول ملك الموت: ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول الرّوح جزاك الله من جسد خير الجزاء لقد كنت في طاعة الله مسرعا وعن معاصيه مبطئا فجزاك الله عني من جسد خير الجزاء فعليك السلام إلى يوم القيامة ويقول الجسد للرّوح مثل ذلك، قال: فيصيح ملك الموت أيتها الروح الطيبة اخرجي من الدنيا مؤمنة مرحومة مغتبطة قال: فرقت به الملائكة وفرجت عنه الشدائد وسهلت له الموارد وصار لحيوان الخلد...»[1].

والشواهد كثيرة لمحبي هاتين الآيتين الشريفتين من المؤمنين والشهداء والصديقين منهم:- حنظلة ابن أسعد الشبامي، وهو من أنصار الإمام الحسين عليه السلام فقال عنه أرباب المقاتل: جاء حنظلة ابن أسعد الشبامي، فقام بين يدي الحسين عليه السلام فأخذ ينادي: ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ۞ وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** ﴾[2]، يا قوم [لا] تقتلوا حسينا فيسحتكم الله بعذاب ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾.

فقال له الحسين عليه السلام: «**يابن أسعد، رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا عليك ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا إليك ليستبيحوك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين**»؟!

قال: صدقت جعلت فداك! أنت أفقه مني وأحق بذلك، أفلا نروح إلى الآخرة ونلحق بإخواننا؟

---

(١) بحار الأنوار، ج٨، ص٢٠٧.

(٢) سورة غافر، الآيات ٣٠-٣٣.

فقال: «**رح إلى خير من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى**».

فقال: السلام عليك أبا عبد الله! صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرف بيننا وبينك في جنته. فقال: **آمين آمين!** فاستقدم فقاتل حتى قتل.

وفي كتاب الملهوف:جاء حنظلة بن سعد الشبامي، فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والسيوف والرماح بوجهه ونحره، وأخذ ينادي: ﴿**وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ۞ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ**﴾، يا قوم لا تقتلوا حسينا فيسحتكم الله بعذاب ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى**﴾.

ثم التفت إلى الحسين عليه السلام فقال له: أفلا نروح إلى ربنا ونلحق بأصحابنا؟

فقال له: «**بل رح إلى ما هو خير لك من الدنيا وما فيها، وإلى ملك لا يبلى**». فتقدم فقاتل قتال الأبطال،وصبر على احتمال الأهوال،حتى قتل رضوان الله عليه.

-٩-

الإنسان السوي يرى الموت أحلى من العسل:

قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾[١].

الفاء في قوله: ﴿**فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾ في معنى جواب الشرط، وفيه وعيد لهم بأن الموت الذي يكرهونه كراهة أن يؤاخذوا بوبال أعمالهم فإنه سيلاقيهم لا محالة ثم يردون إلى ربهم الذي خرجوا من زي عبوديته بمظالمهم وعادوه بأعمالهم وهو عالم بحقيقة أعمالهم ظاهرها وباطنها فإنه عالم الغيب والشهادة فينبئهم بحقيقة أعمالهم وتبعاتها السيئة وهي أنواع العذاب.

ففي الآية إيذانهم أولا: أن فرارهم من الموت خطأ منهم فإنه سيدركهم ويلاقيهم، وثانيا: أن كراهتهم لقاء الله خطأ آخر فإنهم مردودون إليه محاسبون على أعمالهم السيئة، وثالثا: أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ظاهرها وباطنها ولا يحيق به مكرهم فإنه عالم الغيب والشهادة.

ففي الآية إشارة أولا: إلى أن الموت حق مقضي كما قال: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[٢]، وقال: ﴿ **نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ** ﴾[٣].

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨٥.

(٣) سورة الواقعة،الآية ٦٠.

وثانيا: أن الرجوع إلى الله لحساب الأعمال حق لا ريب فيه.

وثالثا: أنهم سيوقفون على حقيقة أعمالهم فيوفونها.

ورابعا: أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وللإشارة إلى ذلك بدّل إسم الجلالة من قوله تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ** ﴾[١].

وفي الكافي بإسناده عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**جاء رجل إلى أبي ذر فقال يا أبا ذر ما لنا نكره الموت فقال لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تنقلوا من عمران إلى خراب فقال له فكيف ترى قدومنا على الله؟ فقال: أما المحسن منكم فكالغائب يقدم على أهله وأما المسيء منكم فكالآبق يرد على مولاه، قال: فكيف ترى حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على الكتاب إن الله يقول: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾[٢]، قال فقال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال رحمة الله ﴿ قريب من المحسنين ﴾[٣]**»[٤].

فالناس – مثلا – يرون أن الأصالة لحياتهم المادية حتى قال قائلهم: ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ** ﴾[٥]، والقرآن ينبههم بقوله: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾[٦]، ويرون أن العلل والأسباب هي

---

(١) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٩، ص ٢٦٨.
(٢) سورة الانفطار،الآية ١٣.
(٣) سورة الأعراف،الآية ٥٦.
(٤) الكافي، ج٢، ص ٤٥٨.
(٥) سورة الجاثية، الآية ٢٤.
(٦) سورة العنكبوت،الآية ٦٤.

المولدة للحوادث الحاكمة فيها من حياة وموت وصحة ومرض وغنى وفقر ونعمة ونقمة ورزق وحرمان، ﴿ ...بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ... ﴾[١]، والقرآن يذكرهم بقوله: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٢]، وقوله: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ ﴾[٣]، وغير ذلك من آيات الحكمة، ويرون أن لهم الإستقلال في المشية يفعلون ما يشاؤون والقرآن يخطئهم بقوله: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾[٤]، ويرون أن لهم أن يطيعوا ويعصوا ويهدوا ويهتدوا والقرآن ينبئهم بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾[٥].

ويرون أن لهم قوة والقرآن ينكر ذلك بقوله: ﴿ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعًا ﴾[٦].

ويرون أن لهم عزة بمال وبنين وأنصار والقرآن يحكم بخلافه بقوله: ﴿ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ للهِ جَمِيعًا ﴾[٧]، وقوله: ﴿ وَللهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٨].

ويرون أن القتل في سبيل الله موت وإنعدام والقرآن يعده حياة إذ يقول: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾[٩].

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى

---

(١) سورة سبأ، ٣٣.
(٢) سورة الأعراف،الآية ٥٤.
(٣) سورة يوسف،الآية ٦٧.
(٤) سورة الإنسان الآية ٣٠.
(٥) سورة القصص الآية ٥٦.
(٦) سورة البقرة، الآية ١٦٥.
(٧) سورة النساء، الآية ١٣٩.
(٨) سورة المنافقون الآية ٨.
(٩) سورة البقرة، الآية ١٥٤.

أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[١].

إلى غير ذلك من التعاليم القرآنية التي أمر النبيﷺ أن يدعو بها الناس قال: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾**[٢].

وهي علوم وآراء جمة صورت الحياة الدنيا خلافها في نفوس الناس وزينت فنبه تعالى لها في كتابه وأمر بتعليمها رسوله وندب المؤمنين أن يتواصوا بها كما قال: ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾[٣]، وقال: ﴿ **يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾**[٤].

فالقرآن بالحقيقة يقلب الإنسان في قالب من حيث العلم والعمل حديث ويصوغه صوغا جديدا فيحيى حياة لا يتعقبها موت أبدا، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾**[٥]، وقوله: ﴿ **أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾**[٦].

لا يوجد كمال للإنسان أجلّ وأرفع من لقاء الله سبحانه وتعالى، وهو من أسمى مقامات الإنسانية الشامخة، ولا سعادة أكبر للمؤمن من التقرب إلى الله تعالى صاحب الكمال المحض، والقدرة اللامحدودة، والعلم المطلق، ولا راحة أعلى من اليقين بأن

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢١٦.
(٢) سورة النحل،الآية ١٢٥.
(٣) سورة العصر الآية ٣.
(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.
(٥) سورة الأنفال الآية ٢٤.
(٦)سورة الانعام الآية ١٢٢.

الإنسان لا محالة راجع إلى رب ودود رحيم.

إن أكثر من يستشعر هذه المعاني السّامية جيدا، ويتوق إلى هذه المنازل الرفيعة، ويصبو إليها دائما هو ذلك الإنسان المحب للشهادة في متراس الحرب وثغور الجهاد، لأن قلبه لم يتعلق بشيء إلا بالله تعالى الحي الذي لا يفنى، ومن أرقى مصاديق هذا الإنسان: القاسم بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

القاسم رضوان الله عليه على صغر سنه بحيث عبر عنه أنه لم يبلغ الحلم (كان عمره حوالي ١٢ أو ١٣ سنة)، كان متهيئاً لنصرة عمه الحسين ومتدربا على القتال كالفرسان والشجعان، وليس عجيبا أمره إذ إنه ابن الحسن وجده أمير المؤمنين وتربى في حجر الحسين (عليهم السلام اجمعين) فغدا كاملا في أخلاقه وإيمانه وثباته، وقدوة للمؤمنين والسالكين إلى الله في محبته للشهادة، يسأله الحسين عليه السلام عندما أراد القاسم أن يعرف هل هو في جملة من يرزقون الشهادة- كما بشر بها الإمام الحسين أصحابه ليلة عاشوراء-، فقال له القاسم بن الحسن عليه السلام: وأنا فيمن يقتل؟ فأشفق عليه، فقال له: **يا بني، كيف الموت عندك؟** قال: يا عم، فيك أحلى من العسل، فقال: **إي والله فداك عمك، إنك لأحد من يقتل من الرجال معي، بعد أن تبلوا ببلاء عظيم، ويقتل ابني عبد الله**، فبشره الحسين بالشهادة وأنه في جملة من يكون لهم هذا الفوز وهذه السعادة معه من الشهداء.

-١٠-

الإنسان السوي الذي يفتح القلوب العمياء

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**كتب الحسين بن علي عليه السلام من مكة إلى محمد بن علي - بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي إلى محمد بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد فإن من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح والسلام**»[1].

إن التمعن بمفردات رسالة الإمام وهي: اللحاق والشهادة والتخلف والفتح، ومن خلال أحداث ومؤشرات تنذر بمؤامرة خطيرة تحاك من أجل تمزيق دين الله وهدم شرائع السماء، عندها سنفهم أن الإمام كان يؤسس ويخطط لتنفيذ مشروع هو أمل الأنبياء والمرسلين، هذا المشروع توجزه رسالة الإمام عليه السلام وتلك الكلمات الاربع التي حينما نقرأ عمق الترابط بينها سندرك قدسية وعظمة ثورة الإمام عليه السلام.

إن كلمة اللحاق تعني إدراك الشيء أو الوصول إليه أو الانضمام اليه وإن السعي الجاد من أجل اللحاق يستلزم بطبيعة الحال السبب الحقيقي والرغبة الصادقة لإدراك الشيء والانضمام اليه، لذا فنداء الإمام كان موجها لأصحاب القلوب المبصرة، القلوب التي امتلأت عشقا لله فملأها الله عشق الحسين عليه السلام، فاسترخصوا الأرواح وشروا صحبته، فلأجل الحسين وأهدافه يرخص كل شيء. كما أن الإمام أراد إلقاء الحجة وتبيان جوهر هذه النهضة وأساسها ومنطلقها الفكري والعقائدي، وأنه عليه السلام لم يترك الباب مفتوحا لأولئك الذين تقاعسوا عن نصرته ولم يرغبوا باللحاق به من أن يحاولوا

(١) بحار الأنوار، ج ٤٥،ص٨٧، كامل الزيارات،باب ٢٤، ح١٥،ص٧٥.

تبريرعدم خروجهم بأعذار وذرائع قد تصل حد اللجوء لتشويه حقيقة أهدافه، أمر قد ينطلي على السذج من عامة الناس.

وكلمة الشهادة تعني الاحتجاج أو الإخبار عن الحقيقة قولا أو فعلا، قال الله تعالى: ﴿ ...**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ**... ﴾[1]، ومن هذا المعنى أستدل على أن الشهيد هو المقتول في سبيل الله، أي عندما يسعى صادقا لنيل مرضاة الله قولا أو فعلا فينال كرامة القتل، سيكون حينها شاهدا أو شهيدا على الحقيقة التي قدم لأجلها نفسه في سبيل الله جل وعلا.

وأما الفتح فهو في اللغة نقيض الإغلاق، فـ «فتح» ضد أغلق، كفتح الأبواب فانفتحت. والقرآن الكريم أورد العديد من الآيات فيها كلمة الفتح، وهنا نكتفي بذكر موردين فقط من سورتي النصر والفتح، حيث يكون فيهما معنى الفتح أكثر وضوحا، ففي سورة النصر يقول الباري جل وعلا: ﴿ ...**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ۞ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا۞ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا** ﴾[2].

ولتوضيح الإرتباط التكاملي بين المفردات الأربع "اللحاق والشهادة والتخلف والفتح» التي وردت في رسالة الإمام الحسين عليه السلام، لابد لنا أولا من التوقف لتوضيح الحقائق التالية:

لقد أشار السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان لأكثر من معنى قيل في تفسير كلمة الفتح في سورة النصر ولعل أهمها هو فتح مكة الذي هو أم الفتوحات، وهو النصر العظيم الذي من الله به على رسول الله والمسلمين فبه انكسرت شوكة المشركين وتهدم بنيانهم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.

(٢) سورة النصر.

-١١-

الإنسان السوي المعظم لشعائر الله

قال الباري تعالى في كتابه المجيد: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[١].

أي تعظيم الشعائر الإلهية من التقوى، فالضمير لتعظيم الشعائر المفهوم من الكلام ثم كأنه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فأرجع إليه الضمير.[٢]

شعائر الله: هي معالم الله التي يعرف بها طريق الله، فعندما يوضع معلم لغرض ما فإن هذا المعلم يكون الغرض من وضعه هو التعريف بالطريق الموصل للمقصود، فيكون هذا المعلم وسيلة التعريف بالمراد والمقصود للواضع.

فشعائر الدين هي معالم الدين التي يتعرف بها على الدين، ومن خلالها وبواسطتها يمكن الوصول إلى الدين، وأحكامه، وشرائعه، وأصوله، ومقاصده. هذا المعلم يكون وسيلة الوصول، ويكون هو المؤشر والمعرف لكل ما يشتمل عليه الدين من مفاهيم، وقيم، ومقاصد، ومبادئ، وأصول، وأحكام، وشرائع، ومعتقدات، وإضافة التقوى إلى القلوب للإشارة إلى أن حقيقة التقوى وهي التحرز والتجنب عن سخطه تعالى والتورع عن محارمه أمر معنوي يرجع إلى القلوب وهي النفوس وليست جسد الأعمال التي هي حركات وسكنات فإنها مشتركة بين الطاعة والمعصية كالمس في النكاح والزنا، وإزهاق

(١) سورة الحج، الآية، ٣٢.

(٢) تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، ج ١٤، ص ٣٧٤.

الروح في القتل قصاصا أو ظلما والصلاة المأتي بها قربة أو رياء وغير ذلك، وليست هي العناوين المنتزعة من الأفعال كالإحسان والطاعة ونحوها.

ثم إن التعظيم ليس بمعنى التقدير والتقديس وحسب، فذلك مظهر من مظاهر التعظيم، وليس هو حقيقة التعظيم، كما نلاحظ في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ** ﴾[1]؛ إذ من المعلوم أن الصفا والمروة موجودات صامتة جامدة، ولكن لأنها ارتبطت بالمسعى – مبدأ السعي ومنتهاه–، وهنا في هذه المساحة وقعت بعض الحوادث، حيث إنّ هاجر أم النبي إسماعيل عليهما السلام هرولت طلبا للماء لولدها؛ فكان لها ذلك التميز والتعظيم.

فإذا كانت الصفا والمروة من شعائر الله، فألا يكون الحسن والحسين عليهما السلام من شعائر الله، وهما اللذان يمثلان خط الرسالة في زمانهما؟.. فإذن، هذه من الشعائر.. هذه من أيام الله.. عيد الفطر يوم إلهي، وعيد الأضحى يوم إلهي؛ وكذلك الغدير يوم إلهي، لأن هذا اليوم يذكرنا بالله عز وجل، أضف إلى أنّ عيد الغدير يوم إلهي مرتبط بالعقيدة، وبأصول الدين؛ فإذن، المسألة في غاية الأهمية.

والحسين الشهيد عليه أفضل الصلاة والسلام واحد من شعائر الله، أي هو معلم من معالم الله، ومعنى أنه معلم هو أنه الطريق إلى معرفة الله، والطريق الذي إذا سلك كان موصلا إلى الله، وموصلا إلى دين الله، وإلى أحكام الله، وإلى شريعته، وإلى مقاصد الشريعة الإلهية.. هذا هو معنى أن الحسين عليه السلام شعيرة من شعائر الدين، وهكذا فإن كل نبي فهو معلم من معالم دين الله، والقرآن معلم من معالم دين الله؛ لأنه المعرف بدين الله، والمعرف بأحكام الله، وبأصول العقيدة، وبما شرعه الله عز وجل لعباده.. وهكذا فإن

---

(١) سورة البقرة، الآية، ١٥٨.

محمدا الرسول ﷺ شعيرة من شعائر الله؛ لأنه المعرف بدين الله، وإنّ عليا أمير المؤمنين، والحسن، وسائر أئمة أهل البيت هم من شعائر الله؛ لأنهم الطرق الموصلة والمعرفة بدين الله. فكل هؤلاء الذين ذكرناهم الطرق الموصلة إلى دين الله -عز اسمه وتقدس-.

الحسين الشهيد عليه السلام معلم من معالم الدين، وطريق جعله الله عز وجل إلى دينه، ودليل على شريعته، وهو المعرف بأحكام الله وبأصول العقيدة وبمقاصد القرآن ومعانيه، هذا معنى أن الحسين شعيرة من شعائر الله، وهذا معنى أن الحسين معلم من معالم الدين، فإذا كان كذلك فإذن يلزم تعظيمه، ومن تعظيمه -كما قلنا- هذا المظهر من التقدير والتبجيل والإكبار والإجلال، فهذا مظهر من مظاهر التعظيم، أن تكبر الحسين، أن تجل الحسين، أن تقدس الحسين، فذلك مظهر من مظاهر التعظيم إلا إن تعظيمه الحقيقي هو العمل بهديه عليه السلام، وتعظيم الحسين لكونه معلما من معالم دين الله عز وجل معناه العمل بهدي الحسين، معناه اعتماد قيم الحسين، ومبادئه التي كان يدعو إليها، معنى تعظيم الحسين عليه السلام هو اعتباره النموذج الذي ينبغي أن يحتذى بمواقفه، بخطاباته، بما كان يقول، بما كان يفعل، وأن يعتمد وسيلة للوصول إلى الله عز وجل، وللوصول إلى دين الله -عز اسمه وتقدس-. وهذا هو معنى أن الحسين -كما ورد عن الرسول ﷺ حيث قال: «**الحسين مصباح هدى وسفينة نجاة**»[1]، فهو مصباح هدى يستضاء بهديه بما كان عليه من سجايا وخصال، وهو سفينة نجاة، فمن ركبها كان في الناجين، ومن تخلف عنها كان في الغارقين.

فالقرآن إذن يؤصل لأصل عام بقوله: ﴿ **ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[2]. ويبين الإمام الصادق عليه السلام حيثيات وأصول وطرق هذا التعظيم من خلال

(١) بحار الأنوار، ج ٩١، ص ١٨٤.
(٢) سورة الحج، الآية، ٣٢.

ما سأله به أحد خواص أصحابه عليه السلام وهو المفضل بن عمر، وفيه:

عن المفضل بن عمر: أنه كتب إلى أبي عبد الله عليه السلام كتابا فجاءه هذا الجواب من أبي عبد الله عليه السلام. «**أما بعد فإني أوصيك ونفسي بتقوى الله وطاعته... وأخبرك حقا يقينا أن الله تبارك وتعالى اختار الاسلام لنفسه دينا ورضيه لخلقه، فلم يقبل من أحد عملا إلا به وبه بعث أنبياءه ورسله، ثم قال: وبالحق أنزلناه وبالحق نزل فعليه وبه بعث أنبياءه ورسله ونبيه محمدا صلى الله عليه وآله، فأصل الدين معرفة الرسل وولايتهم. وإن الله عز وجل أحل حلالا، وحرم حراما فجعل حلاله حلالا إلى يوم القيامة، وجعل حرامه حراما إلى يوم القيامة. فمعرفة الرسل وولايتهم وطاعتهم هي الحلال، فالمحلل ما حللوا، والمحرم ما حرموا، وهم أصله، ومنهم الفروع الحلال، فمن فروعهم أمرهم شيعتهم وأهل ولايتهم بالحلال، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت، والعمرة، وتعظيم حرمات الله عز وجل وشعائره ومشاعره، وتعظيم البيت الحرام، والمسجد الحرام، والشهر الحرام، والطهر، والاغتسال من الجنابة، ومكارم الأخلاق ومحاسنها، وجميع البر، وذكر الله ذلك في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾**[1]... الحديث)[2].

(١) سورة النحل، الآية، ٩٥.

(٢) مختصر البصائر ج١ ص٢٣٨.

-١٢-

الإنسان السوي يسقى ماء غدقا

﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾[١].

عن يحيى بن محمد الفارسي عن الصادق عليه السلام: في قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾[٢]، قال: «**أنزلت في الأئمة الأوصياء من آل محمد عليهم السلام**»[٣].

عبد العظيم الحسني بإسناده إلى جعفر عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾، يقول:**لأشربنا قلوبهم الإيمان والطريقة هي ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء عليهم السلام** [٤].

محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا** ﴾،على الأئمة واحدا بعد واحد تتنزل عليهم الملائكة[٥].

هذا، وقد ورد في الشريعة الإسلامية ما يقوي روح الاستقامة لدى الشخص، منها الارتباط بالله والاعتقاد بنصرة الحق، فحينما كان نبي الله موسى (على نبينا وآله وعليه السلام) مطاردا من قبل طاغوت زمانه ووصل إلى البحر خاف القوم من أن يقضى

---

(١) سورة الجن، الآية ١٦.

(٢) سورة الصافات،الآية ١٦٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب، ابن شهل اشوب،ج٤،ص٣٣٠.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٤،ص١٠١.

(٥) المناقب، ج٤،ص٣٣٠.

عليهم، عند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿ ...إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾[١]، ومما يقوي روح المقاومة هو الدعاء وطلب الاستعانة من الله سبحانه وتعالى فندعوه بهذا الدعاء بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾[٢].

وتحقيق الامر بالرجوع إلى الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام بخصوص المراد من الماء الغدق، عن القاسم بن سليمان، عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: في هذه الآية ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾: «**يعني من جرى فيه شيء من شرك الشيطان، على الطريقة، يعني في الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله ميثاق ذرية آدم، أسقيناهم ماء غدقا، لكنا وضعنا أظلتهم في الماء الفرات العذب**»[٣].

عن عبد الله بن حماد، عن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: في قول الله عز وجل: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴾، لنفتنهم فيه، قال: «**يعني استقاموا على الولاية في الأصل عند الأظلة حين أخذ الله الميثاق على ذرية آدم لأسقيناهم ماء غدقا يعني لكنا أسقيناهم من الماء الفرات العذب**»[٤].

عن محمد بن مسلم عن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ ﴾ على الطريقة قال: «**يعني على الولاية لأسقيناهم ماء غدقا قال: لأذقناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمة عليهم السلام**»[٥].

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٦٢

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٠.

(٣) مختصر البصائر، ج١، ص٢١٣.

(٤) بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٨.

(٥) بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٩.

فهذه الاحاديث تشير إلى أن الماء الغدق ليس الماء المعهود بل هو إما تطهير الطينة بوضعها بالماء الفرات، وإما سقيهم ماء طاهرا في الميثاق، وإما تعليمهم من علم الائمة عليهم السلام، والمناسبة لإطلاق لفظ الماء الغدق على التطهير والسقي الميثاقي في الحديثين الأول والثاني واضحة؛ إذ بالماء تحصل الطهارة من الخبائث وتتخلص الطينة الأصلية من اللطخ... وفي الحديث الثالث يأول العلم بالماء؛ لأن فيه حياة الأرواح كما أن في الماء المعهود حياة الأجساد، ولا يتعلق الأمر بالجن فقط بل يشمل الثقلين جميعا[١].

الماء الغدق ثمرة الاستقامة:-

في الآيات القرآنية: ﴿ **وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا** ﴾، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾[٢].

﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾[٣].

وفي الرويات الشريفة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن تستقيموا تفلحوا**»[٤].

وقال الإمام علي وهو الصراط المستقيم عليه السلام: «**من رغب في السلامة ألزم نفسه الاستقامة**»[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من استقام فإلى الجنة، ومن زل فإلى النار**»[٦].

---

(١) مركز الأبحاث العقائدية.
(٢) سورة الأحقاف،الآية ١٣.
(٣) سورة فصلت،الآية ٣٠.
(٤) كنز العمال، ٥٤٧٩.
(٥) غرر الحكم،ح ٨٤٧٩.
(٦) نهج البلاغة، الخطبة ١١٩.

وقال الإمام علي عليه السلام: «**السلامة مع الاستقامة**»[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**الاستقامة سلامة**»[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من طلب السلامة لزم الاستقامة**»[٣].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**عليك بمنهج الاستقامة؛ فإنه يكسبك الكرامة ويكفيك الملامة**»[٤].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**لا مسلك أسلم من الاستقامة، لا سبيل أشرف من الاستقامة**»[٥].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من لزم الاستقامة لم يعدم السلامة**»[٦].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**من لزم الاستقامة لزمته السلامة**»[٧].

---

(١) بحار الأنوار،ج ٧٧، ص٢١٣، ح١.
(٢) غرر الحكم،ح ٢٤٥.
(٣) غرر الحكم،ح ٨٠٤١.
(٤) غرر الحكم،ح ٦١٢٧.
(٥) غرر الحكم، ح (١٠٦٣٦ و١٠٥٥٦)
(٦) غرر الحكم، ح ٨١١٧.
(٧) بحار الأنوار،ج ٧٨،ص٩١،ح٩٥.

-١٣-

الإنسان السوي نافذ البصيرة

يقول الإمام الرضا عليه السلام: «**و اعلم أن العمل الدائم القليل على اليقين والبصيرة أفضل عند الله من العمل الكثير على غير اليقين والجهل، واعلم أنه لا ورع أنفع من تجنب محارم الله والكف عن أذى المؤمن ولا عيش أهنأ من حسن الخلق ولا مال أنفع من القنوع ولا جهل أضر من العجب ولا تخاصم العلماء ولا تلاعبهم ولا تحاربهم ولا تواضعهم**»(١).

وقال الباري عز وجل في الكتاب الكريم: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾(٢). البصيرة في اللغة: قوة الإدراك والفطنة،العلم والخبرة، أي عقل وإدراك وفطنة ونظر نافذ إلى خفايا الأشياء ذو بصيرة وبعد نظر.

والبصيرة موهبة إلهية وملكة تحصل لدى الإنسان البصير بفعل معنوي وتوفيق رباني، وبالرغم من تسمية الإنسان الذي يتمتع بقدرة الأبصار بصيرا إلا أن البصير هو من يتمتع بالبصيرة، والبصيرة مرتبة أعلى من الإبصار بالعين.

ففي هذه الآية الشريفة حث سبحانه وتعالى على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلهم فقال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ** ﴾ وهذا إستفهام إستنكاري ورد

(١) فقه الرضا عليه السلام ج١ ص٣٥٦.
(٢) سورة الحج، الآية ٤٦.

إستنكارا لمن يرى ما فعل بمن هم قبله ولايعتبر ولايتأثر، أي: أولم يسيروا يا محمد قومك في الأرض اليمن والشام في أثناء أسفارهم للتجارة أوغير ذلك فقال تعالى: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا** ﴾ أي يعلمون بها ما يرون من العبر ويعقلون بقلوبهم مانزل بمن كذب قبلهم فقال تعالى:﴿ **أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** ﴾، يسمعون أخبار الأمم السابقة المكذبة في حال لم يشاهدوا، فالعين إحدى الحواس الناقلة والأذن كذلك حاسة ناقلة فما سمعوه يستدعي الاعتبار فقال تعالى:﴿ **فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾.

وورد في معرض ذكر هذه الاية: قال رسول الله ﷺ: «**ليس الأعمى من يعمى بصره، ولكن الأعمى من تعمى بصيرته**»[1]، و(الهاء)في قوله تعالى (فإنها) تعود إلى الكلام السابق الذي ورد فيه الإستفهام الاستنكاري، والجملة بعد الهاء تفسر السبب الذي جعل البعض ممن رأى أو سمع ما جرى على الأمم السابقة التي كذبت بآيات الله فعاقبهم وترك آثارهم واضحة ومدنهم شاخصة، حيث إن سبب عدم الاعتبار ليس عمى العين ولكن السبب هوعمى بصيرة القلب وانطفاء نوره بسبب حب الدنيا وإلا فبعض من فقد بصره تجده عارفا بالحق وحافظا للقرآن وعابدا لله.

وقوله تعالى: ﴿ **الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴾ مع أن القلب موضعه في الصدر أي من الأمور الباطنية في الإنسان ولكن جاء هذا الكلام من التوكيد الذي يورده العرب في كلامهم.

فكما أن حواس الإنسان الظاهرية تصبح معطلة وغير قادرة على أداء وظيفتها الإنسانية التكاملية في فهم الحياة وآثارها ونتائجها، فعندما يفقد الإنسان بصيرته يصاب بالعمى الحقيقي ويصبح كالأنعام بل أشر وأدنى منها، قال تعالى في بيان ذلك:

---

(١) تفسير البرهان، ج٣، ص٩١٤.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾[١].

وجعل سبحانه من تعطلت بصيرته فلا يدرك بها الحق ولايعتبر جعله ممن يستحق العذاب الأبدي بدخول جهنم وهذا ما ذكره تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾[٢].

فالبصيرة هي عين العقل وقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام بيان رائع وعميق يصف به العقل بقوله: قال أبو عبد الله عليه السلام: «**دعامة الإنسان العقل والعقل منه الفطنة والفهم والحفظ والعلم وبالعقل يكمل وهو دليله ومبصره ومفتاح أمره فإذا كان تأييد عقله من النور كان عالما حافظا ذاكرا فطنا فهما فعلم بذلك كيف ولم وحيث وعرف من نصحه ومن غشه فإذا عرف ذلك عرف مجراه وموصوله ومفصوله وأخلص الوحدانية لله والإقرار بالطاعة فإذا فعل ذلك كان مستدركا لما فات ووواردا على ما هو آت يعرف ما هو فيه ولأي شيء هو هاهنا ومن أين يأتيه وإلى ما هو صائر وذلك كله من تأييد العقل**»[٣].

وفي أقوال اميرالمؤمنين الغنى الكبير لبيان أهمية البصيرة فقال عليه السلام: «**فقد البصر أهون من فقد البصيرة**»[٤]، وقال عليه السلام: «**دوام الغفلة يعمي البصيرة**»[٥]، وقال عليه السلام: «**لحب الدنيا صمت الأسماع عن سماع الحكمة وعميت القلوب عن نور البصيرة**»[٦].

(١) سورة الأنفال ٢٢.
(٢) سورة الأعراف،الآية ١٧٩.
(٣) الكافي، ج١، ص٢٥.
(٤) غرر الحكم، ج١، ص٤٨١.
(٥) غرر الحكم، ج١، ص٨١٩.
(٦) غرر الحكم، ج١، ص٥٤٧.

وعنه عليه السلام: «**ليست الرؤية كالمعاينة مع الإبصار فقد تكذب العيون أهلها ولا يغش العقل من استنصحه**»(١).

من هو صاحب البصيرة؟ ورد عن الإمام علي عليه السلام: «**فإنما البصير من سمع فتفكر ونظر فأبصر وانتفع بالعبر ثم سلك جددا واضحا يتجنب فيه الصرعة في المهاوي والضلال في المغاوي ولا يعين على نفسه الغواة بتعسف في حق أو تحريف في نطق أو تخوف من صدق**»(٢)،أي بعد حصول العلم لديه وفهمه لما رآه وسمعه فإنه يعمل بما علم ويختار الطريق الواضحة في سيره ويتجنب الطرق المظلمة أي لايتبع هواه فيهوى لأن اتباع الهوى يردي.

وعنه عليه السلام: «**أبصر الناس من أبصر عيوبه وأقلع عن ذنوبه**»(٣).

وهذا أفعل تفضيل من الإبصار يعني إذا قسمنا أهل البصيرة إلى مراتب فإن أفضلهم هو من يبصر عيوبه ويقلع عن ذنوبه.

في وصية للامام الكاظم يبين أن الفقه مفتاح البصيرة فقال عليه السلام: «**تفقهوا في دين الله فإن الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب إلى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب ومن لم يتفقه في دينه لم يرض الله له عملا**»(٤).

الوعي والبصيرة أعظم سلاح المرحلة وبدونه لا يستطيع أي قائد أو زعيم قوم أو جماعة أو حتى مرجع أن يبلغ الغاية، ما لم تكن القاعدة تحمل البصيرة التي ركز عليها

(١) نهج البلاغة،ج١، ص٥٢٥.
(٢) نهج البلاغة، ج١، ص٢١٣.
(٣) غرر الحكم، ج١، ص١٩٧.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٣٢١.

إمامنا الصادق عليه السلام يوم وصف العباس عليه السلام: «**كان عمنا العباس بن علي نافذ البصيرة، صلب الإيمان، جاهد مع أبي عبد الله عليه السلام، وأبلى بلاء حسنا، ومضى شهيدا**»(١).

ورد في مناجات إمير المؤمنين عليه السلام: «**... إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك...**»(٢).

وذكر الشيخ المفيد في أماليه،ج١، ص١٧٩، عن أبي القاسم جعفر بن محمد عن أبيه عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن الحسين بن سعيد عن ابن أبي عمير عن محمد الجعفي عن أبيه قال: «كنت كثيرا ما أشتكي عيني فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: **ألا أعلمك دعاء لدنياك وآخرتك وتكفى به وجع عينك فقلت بلى فقال تقول في دبر الفجر ودبر المغرب - اللهم (إني أسألك) بحق محمد وآل محمد عليك أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تجعل النور في بصري والبصيرة في ديني واليقين في قلبي والإخلاص في عملي والسلامة في نفسي والسعة في رزقي والشكر لك أبدا ما أبقيتني**»(٣).

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف ص١٧٦.

(٢) زاد المعاد، ج١،ص٤٧.

(٣) مستدرك الوسائل، ج٥،ص٩٩.

-١٤-

الإنسان السوي والارتباط بالله عز وجل

الارتباط بالله عز وجل

من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «**اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تشقني بمعصيتك، وخر لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت**»[١].

يبين الإمام الحسين عليه السلام في هذه الفقرة من الدعاء كيف يرسم الإنسان علاقته بالله عز وجل، وكيف يمكن للإنسان أن يوجه هذه العلاقة بالنحو المفيد والمثمر، والمتمثل بخطوات أربع وهي:

١. الخشية من الله عز وجل: الخوف إذا كان له منشأ عقلائي، لا يكون مذموما، بل يكون ممدوحا، ومن مصاديق ذلك الخوف من الله، وهذا الخوف عندما يكون من باب الشعور بعظمة من تخاف منه وهيبته، يكون خشية مطلوبة. وفي علاقة الإنسان بالله عز وجل، الخشية مطلوبة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**خف الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت لا تدري أنه يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم استترت المخلوقين بالمعاصي وبرزت له بها، فقد جعلته أهون الناظرين إليك**»[٢].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٢، ص٥٧٧.

(٢) فقه الإمام الرضا عليه السلام، ص٣٨٢.

وللخوف من الله علامات، منها: انكسار القلوب وخشيتها الدائمة من الله، واتهام النفس دائما بالتقصير، ومنها قلة الكلام، وعدم الخوف من الناس، والمسارعة والمسابقة نحو أفضل الأعمال الصالحة، وعدم الرضا بالأعمال العادية. فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن لله عبادا كسرت قلوبهم خشية الله، فاستنكفوا عن المنطق، وإنهم لفصحاء بلغاء ألباء نبلاء، يستبقون إليه بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون له الكثير، ولا يرضون له القليل**»(١).

٢. التقوى سعادة: إذا كان ميزان السعادة أن يكون عمل الإنسان مقبولا عند الله عز وجل؛ فإن باب القبول هو التقوى، قال تعالى: ﴿ **إنما يتقبل الله من المتقين** ﴾(٢).

ومما ورد من حكم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام: «**صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلا بهما: التقى والإخلاص**»(٣).

٣. المعصية شقاء: إذا كان الإنسان يسعى لعدم الوقوع في الشقاء، فإن مفتاحه مخالفة الهوى، ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى أمراء الخراج بسم الله الرحمان الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أمراء الخراج: «**أما بعد فإنه من لم يحذر ما هو صائر إليه لم يقدم لنفسه ولم يحرزها ومن اتبع هواه وانقاد له فيما لم يعرف نفع عاقبته عما قليل ليصبحن من النادمين ألا وإن أسعد الناس في الدنيا من عدل عما يعرف ضره وإن أشقاهم من اتبع هواه فاعتبروا واعلموا أن لكم ما قدمتم من خير وما سوى ذلك وددتم لو أن بينكم وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد**»(٤).

والشقاء بالمعصية يودي بالإنسان إلى بلاءات الدنيا، ففي الرواية عن أمير

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٩٩.
(٢) سورة المائدة، الآية ٢٧.
(٣) غرر الحكم، ج١، ص٤٢٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٢، ص٣٥٥.

المؤمنين عليه السلام: «**توقوا الذنوب، فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب، حتى الخدش** والنكبة والمصيبة؛ فإن الله جل ذكره يقول ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾[١]»[٢].

٤. التسليم لله عز وجل: وهو من أركان الإيمان الحقيقي، فعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام: «**اعلموا أنه لن يؤمن عبد من عبيده حتى يرضى عن الله فيما صنع الله إليه وصنع به على ما أحب وكره ولن يصنع الله بمن صبر ورضي عن الله إلا ما هو أهله وهو خير له مما أحب وكره**»[٣].

والإنسان الذي يعيش حالة التسليم هذه، يكون سعيدا، مما ورد من حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**إن أهنأ الناس عيشا، من كان بما قسم الله له راضيا**»[٤]،

فالارتباط بالله تعالى والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحص القلوب، ويطهر النفوس، لأنه ينقل الإنسان من مرحلة التفكر والتدبر في عظمة الله تعالى وهيمنته ورقابته إلى مرحلة العمل الصالح في ظل هذا التدبر، فالعزم يتبعه العون منه تعالى، ويتبعه التثبيت على المضي في طريق تزكية النفس.

وهذا الارتباط بالله تعالى يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان وبين مخالفة ربه وخالقه، قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**ما عرف الله من عصاه**»[٥].

ويتحقق الارتباط بالله تعالى أيضا عن طريق المداومة على العبادات وقد حث

---

(١) سورة الشورى، الآية ٣٠.
(٢) الخصال، ص ٦١٢ و٦١٥.
(٣) الكافي، الشيخ الكليني، ج٨، ص٨.
(٤) غرر الحكم، ج١، ص٢٢٠.
(٥) تحف العقول، ص ٢١٥.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الجماعة الصالحة على كثرة العبادة، حتى جعلها إحدى خصائصهم، فقال عليه السلام: «**التعاون على إقامة الحق، أمانة وديانة**»[١]، وقال عليه السلام في عبادة الجماعة: «**ليحضرن معنا صلاتنا جماعة، أو ليتحولن عنا ولا يجاورنا ولا نجاورهم**»[٢].

وحث عليه السلام على قراءة القرآن الكريم والسير على منهاجه، فقال: «**الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم**»[٣].

وفي كلام له عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر يقول: «**و أشعر قلبك الرحمة بالرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق**»[٤].

(١) غرر الحكم: ج ١ ص ٣٥٠ ح ١٣٢٧.
(٢) أمالي الطوسي، ج ٢، ص ٣٠٧.
(٣) بحار الأنوار، ج٤٢، ص٢٥٦.
(٤) مستدرك الوسائل، ج١٣، ص١٦٠.

-١٥-

الإنسان السوي والرزق الحلال

أكد القرآن الكريم على وجوب مراعاة المسلم طهارة غذائه الجسدي، وفي الوقت نفسه أوجب عليه مراعاة طهارة غذائه الروحي، الأمر الذي صرحت به السنة الشريفة وحثت عليه، وبعبارة أخرى: يجب على المسلم أن يراعي طهارة غذائه، ظاهريا، وباطنيا، حتى في أصعب الظروف.

ونستلهم من قصة أصحاب الكهف في القرآن الكريم أنهم، وإن كانوا بعد يقظتهم بحاجة شديدة إلى الطعام، ولكنهم قالوا للشخص الذي كلفوه بشراء الطعام: لا تشتر الطعام من أي كان، وإنما أنظر أيهم أزكى طعاما وأطهر، فأتنا منه، لقوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿ **وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا** ﴾[1].

إن معظم البشر في عصرنا الراهن أدركوا أهمية طهارة الغذاء من اللوث الظاهري، لكنهم ما زالوا غافلين عن أهمية طهارته من اللوث الباطني، الذي يؤثر على الإنسان، أثر أكل السحت، من خلال المعاملات الربوية، والغش، وغير ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**العبادة سبعة أجزاء أفضلها طلب الحلال**»[2].

(١) سورة الكهف، الآية ١٩.

(٢) بحار الأنوار،ج ٧٤،ص ١٤٢.

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «**كان علي بن الحسين عليه السلام إذا أصبح خرج غاديا في طلب الرزق.**

فقيل له: يا بن رسول الله، أين تذهب؟

فقال: **أتصدق لعيالي.**

قيل له: أ تتصدق؟!

قال: **من طلب الحلال فهو من الله عز وجل صدقة عليه**»[١].

أكدت الروايات على وجوب مشروعية الدخل، فإنها في الوقت نفسه حثت على وجوب كون الإنفاق مشروعا - أيضا -، أي يجب على الإنسان أن ينفق من ماله الذي يمتلكه بشكل لا يتعارض مع أحكام الشرع، فلو أنفق مالا اكتسبه من طريق محرم، فعليه إرجاعه إلى أصحابه، وإن أنفقه في معاملة، فإن معاملته باطلة.

والقرآن الكريم - بدوره - أشار إلى هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾[٢]، وفسر الإمام جعفر الصادق عليه السلام هذه الآية بقوله: «**إنها نزلت في أقوام لهم ربا في الجاهلية، وكانوا يتصدقون منه، فنهاهم الله عن ذلك، وأمر بالصدقة من الطيب الحلال**»[٣].

وهذا الأمر الرباني يبين أهمية الكسب الحلال وعدم الإفراط في اكتناز الأموال.

والسؤال هنا لمن يبحث عن الرزق بأي صورة كانت هل التجارة بالتذاكي؟

---

(١) الكافي،ج ٤،ص١٢.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٧.

(٣) وسائل الشيعة،ج١٧،ص٢١٢.

والجواب: كلا ليست كذلك، لأننا لا نرى الأكثر ذكاء أو احتيالا، غنيا...، ولا نرى الأكثر سذاجة وحمقا فقيرا.

وفي نص عن علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «**لو جرت الأرزاق بالألباب والعقول لم تعش البهائم والحمقى**»(١).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** ﴾(٢).

فالمسلم طيب، ولا يأكل إلا من الطيب، ولا يدخل على ماله ما فيه شبهة فضلا عن الحرام الواضح.

فبعض التجارات ربما تجلب الكثير من المال، لكنه مال سحت، يأنف عنه المسلم.

ومن هذه التجارات، مال الرقص، والغناء، والموسيقى المحرمة، وبيع لحم الخنزير، وبيع الخمر، وأكل مال اليتيم، والغش بأنواعه ومراتبه على اختلافها، وغصب المال أو أكله بالباطل أو بدون إذن صاحبه...

وعليه يجب على الإنسان المؤمن أن يتجنب المال والأكل الحرام ففيهما آثار دنيوية وأخروية لا تحمد عقباها:

قال الله جل وعلا: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾(٣).

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**من أكل لقمة حرام لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ولم تستجب**

(١) غرر الحكم، ج١، ص٥٧٠.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية ٣٣.

له دعوة أربعين صباحا وكل لحم ينبته الحرام فالنار أولى به وإن اللقمة الواحدة تنبت اللحم»[١].

عندما ازدادت عائلة الإمام الصادق عليه السلام وأصبح القيام بمهامها ثقيلا، صمم عليه السلام أن يشتغل بالتجارة، فقد ورد عن أبي جعفر الفزاري قال: دعا أبو عبد الله عليه السلام مولى له يقال له مصادف فأعطاه ألف دينار وقال له: «**تجهز حتى تخرج إلى مصر فإن عيالي قد كثروا**، قال: فتجهز بمتاع وخرج مع التجار إلى مصر فلما دنوا من مصر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة وكان متاع العامة فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار دينارا فلما قبضوا أموالهم وانصرفوا إلى المدينة فدخل مصادف على أبي عبد الله عليه السلام ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار فقال: جعلت فداك هذا رأس المال وهذا الآخر ربح فقال: **إن هذا الربح كثير ولكن ما صنعته في المتاع**، فحدثه كيف صنعوا وكيف تحالفوا، فقال: **سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألا تبيعوهم إلا ربح الدينار دينارا**، ثم أخذ أحد الكيسين فقال: **هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح**، ثم قال: **يا مصادف مجادلة السيوف أهون من طلب الحلال**»[٢].

روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**إن الرجل إذا أصاب مالا من حرام لم يقبل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى أنه يفسد فيه الفرج**»[٣].

فكم من الناس، وخاصة من التجار، تسنح لهم الفرصة في ظروف معينة، لاستغلال حاجة الناس أو سذاجتهم وقلة خبرتهم أو اضطرارهم... ليزيدوا من ثرواتهم، غاضي

(١) بحار الأنوار، ج٦٣،ص٣١٤.
(٢) الكافي، ج٥، ص١٦١.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٧،ص٩١.

الطرف عن الحلال والحرام، والاضطرار والحاجة، ولا يصلح هؤلاء إلا الخوف من الله تعالى جل علاه.

فهنيئا لمن وفق للتغلب على هوى نفسه، وقهر شهوته، واكتفى بالحلال الطيب، وتنزه عن الحرام الخبيث... فهذا، لن يحرمه الله تعالى من نظرة رحيمة، في عاجل الدنيا قبل آجلها.

قال رسول الله ﷺ: «**لا يقدر رجل على حرام ثم يدعه، ليس به إلا مخافة الله، إلا أبدله الله في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير له من ذلك**»[1].

(١) كنز العمال، ٤٣١١٣.

-١٦-

الإنسان السوي يرضى بما قسم الله له

من دعاء الخضر وقد علمه إياه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، المعروف بدعاء كميل بن زياد،

«اللهم إني أسألك سؤال خاضع متذلل خاشع، أن تسامحني وترحمني، وتجعلني بقسمك راضيا قانعا، وفي جميع الأحوال متواضعا».

بقسمك: بالقسمة بالنصيب الذي جعلت لي من فضلك، وبحصتي ونصيبي الذي يصيبني في الامور غير الاختيارية. والقسم هو العطاء.

وهذه العبارات من الدعاء توحي للإنسان بالسعادة الحقيقية، حيث هدوء الخاطر والوقار وعدم الغضب أزاء العواصف والمصائب الشديدة؛ لأن عدم الرضا عن الامور الحياتية، والغضب الشديد عند الحوادث الطارئة المكروهة.. يولد الهم والغم والتشويش، وقد يصل بالإنسان لدرجة اليأس من الحياة ما يؤدي إلى الانتحار أو الإصابة بضغط الدم والأمراض العصبية والنفسية.

قال تعالى: ﴿ **يَاأَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۞ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۞ وَادْخُلِي جَنَّتِي** ﴾[1].

فاشترط الحق تبارك وتعالى للرجوع إليه الدخول في الرضا، فلابد للسالك إليه

(١) سورة الفجر، الآية ٢٨.

بقدم المعرفة من الدخول في الرضا، وأقل درجاته الرضا بالله ربا، بترك عبادة ما دونه من أهواء النفس والجري وراء الأسباب، والرضا بالله في كل ما قضى وقدر، وهو الرضا بالقسم كما في الفقرة، والقناعة التي هي من منازل الزهد الذي هو ضرورة لمريدي هذا الطريق، فينبغي للإنسان في حال الرخاء والشدة وموجبات الفرح والحزن.. عدم الخروج عن حدود الإنسانية، ويحسن أن يكون في مقابل الطوارئ ثابت العزم راضيا.

والرضا والتسليم يكون صحيحا في مقابل الحوادث غير الاختيارية، أما الحوادث الاختيارية المكروهة، التي تحصل من الإهمال الفردي أو الجماعي فعلى الإنسان أن يتداركها بالسعي المتواصل الجاد، مع ثبات القلب واستقرار النفس، لتغييرها وتحسينها؛ إذ إن ترك العمل في جلب المنفعة ودفع المضرة، والإعراض عن الدنيا المشروعة.. مخالف للطبيعة واحتياجات الإنسان، وهو في درجة ما.. من الذنوب.

المسلم يؤمن أن رزقه مقسوم له، وأنه لن يموت قبل أن يستوفي تمام رزقه.

قال الله عز وجل: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1].

فالله سبحانه جعل رزقا لكل واحد منا، نحن البشر كما جعل ذلك للنملة والطائر والسمكة والبعوضة والفيل.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام في نهج البلاغة: «**ولو فكروا في عظيم القدرة وجسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق وخافوا عذاب الحريق ولكن القلوب عليلة والبصائر مدخولة ألا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه وأتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر! انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد**

(١) سورة هود، الآية ٦.

تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها وصبت على رزقها تنقل الحبة إلى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها مكفول برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها المنان ولا يحرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس ولو فكرت في مجاري أكلها، في علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجبا ولقيت من وصفها تعبا - فتعالى الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة لدقيق تفصيل كل شيء وغامض اختلاف كل حي وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء»[١].

عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليه السلام قال: «**سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لي: اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس وارض بقسم الله تكن أغنى الناس وكف عن محارم الله تكن أورع الناس وأحسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلما**»[٢].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوا ما عند الله من معاصيه فلا ينال ما عند الله إلا بالطاعة**»[٣].

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**من رضي من الله بما قسم له استراح بدنه**»[٤].

---

(١) نهج البلاغة، ج١ ص٢٧٠.
(٢) الأمالي (للصدوق)،ج١،ص٢٠١.
(٣) مستدرك الوسائل، ج١٣،ص٣١.
(٤) بحار الأنوار، ج٦٨،ص١٣٩.

ومن كتاب المحاسن، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يدي الله أوثق منه بما في أيدي غير**»(١).

عن أبي عبد الله عن آبائه عليهم السلام قال: «**قال رجل عند النبي صلى الله عليه وآله اللهم أغننا عن جميع خلقك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لا تقولن هكذا ولكن قل اللهم أغننا عن شرار خلقك فإن المؤمن لا يستغني عن أخيه المؤمن**»(٢).

وكان من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في الرضا إذا نظر إلى أصحاب الدنيا: «**الحمد لله رضا بحكم الله، شهدت أن الله قسم معايش عباده بالعدل، وأخذ على جميع خلقه بالفضل. اللهم صل على محمد وآله، ولا تفتني بما أعطيتهم، ولا تفتنهم بما منعتني فأحسد خلقك، وأغمط حكمك. اللهم صل على محمد وآله، وطيب بقضائك نفسي، ووسع بمواقع حكمك صدري، وهب لي الثقة لأقر معها بأن قضاءك لم يجر إلا بالخيرة، واجعل شكري لك على ما زويت عني أوفر من شكري إياك على ما خولتني واعصمني من أن أظن بذي عدم خساسة، أو أظن بصاحب ثروة فضلا، فإن الشريف من شرفته طاعتك، والعزيز من أعزته عبادتك، فصل على محمد وآله، ومتعنا بثروة لا تنفد، وأيدنا بعز لا يفقد، واسرحنا في ملك الأبد، إنك الواحد الأحد الصمد، الذي لم تلد ولم تولد ولم يكن لك كفوا أحد**»(٣).

---

(١) الكافي، ج ٢، ص١٣٩، ح ٨.

(٢) مشكاة الأنوار، ج١، ص١٣٢.

(٣) الصحيفة السجادية، ج١، ص١٥٨.

-١٧-

الإنسان السوي قلبه ينصدع لقتل الحسين عليه السلام

حدثني محمد بن جعفر القرشي الرزاز عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب عن الحسن بن علي بن عثمان عن عبد الجبار النهاوندي عن أبي سعيد عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة ويونس بن ظبيان وأبي سلمة السراج والمفضل بن عمر كلهم قالوا سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «**إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليه السلام لما مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن ومن ينقلب عليهن والجنة والنار وما خلق ربنا وما يرى وما لا يرى**»[1].

إن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية خاصة في الإسلام، لم تشبهها أية قضية أخرى، فهي ملحمة مفجعة ومعركة حاسمة، إنتصر فيها الدين في مقطع زماني خطير، فكانت التضحيات الجسيمة للإمام أبي عبد الله عليه السلام، إنقاذا لشرعة الحق وإيقاظا للأمة من حالاتها الهابطة بل الساقطة، وكانت رفعة للإسلام الحنيف بعد أن كاد بنو أمية أن يشوهوه ويحرفوه، ويحرفوا الناس عن طريقه ويمسخوهم ويرتدوا بهم إلى الجاهلية الأولى.

وفي هذا المفصل التاريخي الحساس، كان الإسلام يحتاج إلى مهج غيورة وإلى دماء شهداء ساخنة وإلى نفوس فداء شجاعة.. فقام لله سبط رسول الله، وهو الأجدر لذلك، وتقدم ليصدع بكلمات الحق ناصحا، حتى إذا أبوا إلا قتاله وقتله، رأوا منه ما أذهلهم

(١) كامل الزيارات، ج١، ص٨٠.

وانتصر عليهم انتصار عزة وشرف وعقيدة ومبدأ إلهي شامخ لا يتنازل.. ومن هنا بلغنا الإسلام من جديد، ومن هنا فهم البعض قول رسول الله ﷺ من خلال هذه الرواية، عن يعلى العامري: أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى طعام دعوا له قال فاشتمل رسول الله ﷺ أمام القوم وحسين عليه السلام مع غلمان يلعب فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هاهنا مرة وهاهنا مرة فجعل رسول الله ﷺ يضاحكه حتى أخذه قال فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه فوضع فاه على فيه وقبله وقال: «**حسين مني وأنا من حسين أحب الله من أحب حسينا حسين سبط من الأسباط**»[1]، فحق لكل مؤمن بعد ذلك أن يفتخر أنه يحب الحسين ويواليه، كما يحق له أن يحزن على الحسين، فليس مثل ظليمه ظليمة وليس مثل مصيبته مصيبة عظيمة.

بل أكثر من ذلك وعلى لسان الإمام الصادق عليه السلام وردت هذه الرواية العجيبة عن مسمع كردين قال: «**قال لي أبو عبد الله يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين قلت لا أنا رجل مشهور من أهل البصرة وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ولست آمنهم أن يرفعوا علي حالي عند ولد سليمان فيمثلون علي قال لي أفما تذكر ما صنع به قلت بلى قال فتجزع قلت إي والله وأستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك علي فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي قال رحم الله دمعتك أما إنك من الذين يعدون في أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا أما إنك سترى عند موتك وحضور آبائي لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة ما تقر به عينك قبل الموت فملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها**

(١) كشف الغمة، ج٢، ص٦١

قال ثم استعبر واستعبرت معه»[١].

كما روي عن إمامنا الصادق عليه السلام أن الجزع مكروه إلا على الحسين عليه السلام فما هو السر في ذلك، أي أن يتحول الجزع على المصاب والمكروه شرعا إلى أمر مستحب تدعونا الأحاديث الشريفة له؟

فقد ورد عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته يقول: «**إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور**»[٢].

أيها الإخوة الأحبة، كان أهل البيت عليهم السلام يباركون أحزان الموالين على الحسين الشهيد، ويشجعون على التفجع بالبكاء وإقامة مجالس العزاء وقراءة أدب الرثاء ويؤكدون للراثين أن يذكروا للناس ما جرى على أهل بيت النبوة من الظلم والقتل والحبس والتشريد، ودس السموم والتضييق وأنواع الإيذاء والتنكيل بالأسر والإحضار والنفي.

وأما قصة كربلاء، فهي لوحة خاصة تجلس عندها الأجيال لتنظر إليها بعيون دامعة، ومآتم كئيبة، وذلك ما حققه أهل البيت عليهم السلام بأحاديثهم ومجالسهم وأقوالهم وأفعالهم، ودعوا إليه وندبوا إليه وشجعوا عليه تحت عناوين متعددة، منها: ما ذكره الشيخ الصدوق في كتاب الإخوان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**اجتمعوا وتذاكروا تحف بكم الملائكة رحم الله من أحيا أمرنا**»[٣]، وقد عقدوا لسيد الشهداء عليه السلام ماتم خاصة، أيام عاشوراء وفي أوقات أخر، إحياء لذكر الحسين عليه السلام وبيانا لما جرى وتحقق وتعظيما

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص٢٨٩.
(٢) وسائل الشيعة، ج١٤،ص٥٠٦.
(٣) مستدرك الوسائل ج١٢ ص٣٩٣.

لشعائر الإسلام.

وقد أقام الإمام علي بن الحسين عليه السلام طوال حياته الشريفة بعد شهادة أبيه عشرات المآتم والمجالس على تلك المصيبة الفاجعة، وكان هو المشوق والمحرض لذلك.. وقد أورد التاريخ روايات كثيرة في ذلك ومنها:

قال الراوي: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة قال بشير بن حذلم فلما قربنا منها نزل علي بن الحسين عليهما السلام فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه وقال **يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعرا فهل تقدر على شيء منه**، فقال بلى يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله إني لشاعر فقال عليه السلام: «**ادخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام**»، قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج والرأس منه على القناة يدار.

قال ثم قلت هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه قال فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن يدعون بالويل والثبور فلم أر باكيا أكثر من ذلك اليوم ولا يوما أمر على المسلمين منه وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول:

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا وأمرضني ناع نعاه فأفجعا

ثم قالت أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منا قروحا لما تندمل فمن أنت رحمك الله فقلت أنا بشير بن حذلم وجهني مولاي علي بن الحسين عليهما السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله عليه السلام ونسائه قال فتركوني مكاني وبادروني فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع

فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلا فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجواري والناس يعزونه من كل ناحية فضجت تلك البقعة ضجة شديدة. فأومأ بيده أن اسكتوا فسكتت فورتهم فقال ﴿ **الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾...﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[1]، بارئ الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السماوات العلى وقرب فشهد النجوى نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعظيم المصائب الفاظعة الكاظة، الفادحة الجائحة أيها القوم إن الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته وسبي نساؤه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي ليس مثلها رزية أيها الناس فأي رجالات منكم يسرون بعد قتله أم أي فؤاد لا يحزن من أجله أم أية عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها فلقد بكت السبع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار والملائكة المقربون وأهل السماوات أجمعون يا أيها الناس أي قلب لا ينصدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليه أم أي سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم أيها الناس أصبحنا مطرودين مشردين مذودين، وشاسعين عن الأمصار كأنا أولاد ترك وكابل من غير جرم اجترمناه ولا مكروه ارتكبناه ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها﴿ **مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ** ﴾[2]، والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا

(١) سورة الفاتحة، الآيتان٢، ٤.

(٢) سورة ص، الآية ٧.

فـ﴿ ...**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾[١]، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ بنا فإنه﴿ ...**وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** ﴾[٢]، قال الراوي: فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان وكان زمنا فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه فأجابه بقبول معذرته، وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه»[٣].

هكذا شرعت سنة المأتم الحسيني بعد الشهادة، ثم تواصلت في بيوت الأئمة الهداة، وواصلها الحسينيون المخلصون، ونحن نواصلها إن شاء الله تعالى لنبقى في الدنيا ونبعث في الآخرة مع الحسين عليه السلام.

(١) سورة البقرة، الآية ١٥٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٤.

(٣) اللهوف على قتلى الطفوف، ج١، ص١٧٤.

المحتويات

مقدمة ٥

القسم الأول حقيقة النفس الإنسانية وانواعها

صلاح النفس ٩
طلبات النفس ١١
النظام هو محور حياة المسلم ١٤
النفس التي تهم بالحسنة والتي تهم بالسيئة ٢١
الإكسير الأعظم والكبريت الأحمر للنفس ٢٤
النفس ومجاهدتها بالعلم ٢٧
النفس وإنقيادها لله في أيام الصوم ٣٠
النفس اللوامة ٣٢
النفس ألأمارة بالسوء ٣٦
النفس ألمطمئنة ٤١
النفس الراضية ٤٦
النفس المرضية ٥٢
النفس الملهمة ٥٦
النفس المحبة لأهل البيت عليهم السلام ٦١
النفس الحيوانية ٦٧
النفس النباتية ٧٢
النفس الناطقة القدسية ٧٥

النفس الكلية الإلهية ٨٠
كرم النفس ٨٥
إباء النفس ٩١
عزة النفس ٩٦

القسم الثاني الإنسان السوي

إنسان الخير ١٠٣
الإنسان والصراط المستقيم ١٠٨
الإنسان المختار لطريق الشر ١١٢
الإنسان غيور على زوجته ١١٧
الإنسان والتضحية ١٢١
الإنسان والإيثار ١٢٦
الإنسان والثبات في زمن الفتن ١٣١
الإنسان السوي يحب الروح والريحان ١٣٦
الإنسان السوي يرى الموت أحلى من العسل: ١٤٠
الإنسان السوي الذي يفتح القلوب العمياء ١٤٥
الإنسان السوي المعظم لشعائر الله ١٤٧
الإنسان السوي يسقى ماء غدقا ١٥١
الإنسان السوي نافذ البصيرة ١٥٥
الإنسان السوي والارتباط بالله عز وجل ١٦٠
الإنسان السوي والرزق الحلال ١٦٤
الإنسان السوي يرضى بما قسم الله له ١٦٩

الإنسان السوي قلبه ينصدع لقتل الحسين عليه السلام ١٧٣